من جوة ألماظ

من جوة ألماظ

عبد الله صبري

تصميم الغلاف:

رقم الإيداع: 2017/26492

I.S.B.N:978- 977-6640-12-2

الطبعة الأولى 2018م

الإدارة: 17 ش عزت باشا المطرية، القاهرة.

المدير العام: آية سعد الدين

مدير النشر: د. رامي عبد الباقي

نائب المدير: رامي غزالة

شؤون إدارية: رقية عبد الله

هاتف: 01099387500 - 01147633268

E – mail:zeinpublish2017@gmail.com
Facebook: Zein Publish

جميع الحقوق محفوظة©

عبد الله صبري

من جوة ألماظ

رواية

تلك الليلة، في ذلك الوقت من أول شهر فبراير، والذي يُعرف بتقلب مزاجه

كما الجوزاء فلا يستقر على شيء....

الساعة الآن الحادية عشرة قبل منتصف الليل، سكونٌ يعمُّ ذلك المنزل

فوصفه كالآتي ...

منزل متوسط الحجم مكون من: طابقين، به حديقة خلفية تزينه كواجهة قصر.

صوت به تنهد، صعوبة في التنفس، حركة رأس يميناً ويساراً...

كمن يحاول الهروب من شيء وهو نائم، نعم إنها أعراض كابوسها المزعج...

تستيقظ من نومها بصحبة زفير طويل الوقت والمدى...

- منى!منى!منى!

خدي نفسك...

يمسك بذلك الكوب، المحيط بقطرات من الماء"شاهداً على ذلك الحدث."

-اشربي...واستهدي بالله كده ...

-أيه كابوس كلّ مره برضه؟؟؟

بعد شربها لذلك الكوب، الذي يدعو إلى تهدئة الأعصاب.

-آه، أيوا يا أحمد هو نفس الكابوس، نفس الكابوس إلي مبوظ أعصابي، إلي حيخليني أتجنن.

تنظر نحوه وبيديها كوب الماء، بعدما هدأت نوعاً ما...

- تفتكر كان لينا فعلاً سبب في إلي حصل ده؟؟

...ذاك الوجه الذي يدعو للتنافر والغضب الذي أبداه أحمد...

- إحنا برضه السبب، إنتي عاوزه ترمي اللوم علينا وخلاص، عاوزه تطلعينا إحنا المذنبين، مش كفاية إلي حصلِنا، وإنتِ فك..... قاطعت كلامه

- أيوا، أيوا إحنا كان علينا ذنب، إحنا إلي سبناه من البداية..

...يقف بجوار فراشه وينظر إلى تلك المرآة التي بجانبه، ويبدو على وجهه تلك الشحوب السوداء، والكدمات المتراكمة من ضرب أحدهم له، متكأً على عصاه التي كانت بجوار فراشه، ينظر لها مره أخرى.

- بلاش نتكلم في الموضوع ده تاني، ولا أنتي عجبك إليّ حصل فينا ولولدنا؟؟؟

بنظرة استفهام أبدتها على وجهها، ممزوجة ببعض من القلق والخوف إثر كابوسها المزعج، تقف بجانبه وتضع يدها على كتفه...

لينظر لها بالحيرة التي بدت على وجهه، ويقترب منها ويمشط على رأسها بيده...

- نامي دلوقتي، وبكره الصبح نتكلم في الموضوع ده، وحعملك إلي يريحك يا ستي... وعاوزك تحاولي تنسي إلي حصل، مبقولكيش انسي بقولك حاولي.

-لا.لا أنا مش جيلي نوم، أنا حقوم أعمل كوبايه قهوة وأقعد في البلكونه شوية.

-خلاص إلي يريحك يا حببتي، مبتسماً لها ويقبل جبهتها، ليخلد إلى النوم.

ممراً طويلاً يملؤه ذلك الظلام البغيض، لا يقطعه سوى ذلك الضوء الذي يتخلل من النافذة .

ضوء من القمر يحارب وحيداً ذلك الظلام المهين، لتضغط على ذلك الزر هناك، ليأتي بجيش من الضوء يؤازر ذلك الضوء الوحيد، حتى تتمكن من الرؤية.

تذهب إلى المطبخ، لتُعدّ كوباً من القهوة...

والتي تقدسها فهي ملجؤها الوحيد، ككثير من الناس للاحتواء والتحدث معها، القهوة...

***

مدام، مدام! دورك دلوقتي اتفضلي...

-يا اه أخيراً دا الواحد زهق، وقرب يمشي عجبك كده يا ست منى؟

-معلش يا ماما كله يهون علشان نستلم (الروتر).

مبتسمة له بذلك الوجه المليء بالغضب من الانتظار...

-شكراً.

...رجلاً يبدو عليه في الثلاثين من عمره، يرتدي بذلته السوداء، وسيم ذو لحيةٍ قصيرة، يرتدي نظارة عمله...

-أهلا يا فندم، آسفين على الانتظار كله ده، كان في مشكله في (السيستم) بس مش أكتر، صورة البطاقة لو سمحتوا.

-هاتي يا منى البطاقة...

وعيناه لم تفارقا تلك الفتاه ذات الشعر القصير، كانت تشبه الملاك البشري، يتخلل وجهها ابتسامة ملائكية، وتنظر له بتلك الابتسامة، ثم تنظر إلى حقيبتها وتبحث عنها...

-ياه شكلي نسيتها يا ماما .هو لازم يا أستاذ...؟

بابتسامته الغير معتاد عليها في عمله...

- أحمد، أحمد روؤف، وللأسف يا أنسه منى لازم البطاقة، إلي انتو مقدمين عليها الاشتراك، ولو مش معاكي دلوقتي ممكن تجيبها بكره، إحنا بنفتح من تسعه صباحاً لتسعه مساءً...!

طريقة حديثها تبدو عليها اللهفة...: طيب تمام ممكن أروح أجيها دلوقتي، إحنا بتنا قريب من هنا؟!.

بادعاء يرسم وجهه من الدهشة: بتكم قريب من هنا ؟؟!

- آه، بعد الشركة بشارعين، شارع سبعة...

- شارع سبعه! داحنا جيران بقا، أصل أنا منقول هنا قُريب، لا خلاص متكليش همّ

...وإلا أقولك يا مدام أتفضلي رقمي... أهو علشان مترحوش وتيجوا، وتنتظروا تاني، قوليلي بس الرقم القومي.

-يا ريت يا بنيّ والله، علشان إحنا هنا من بدري...!

مبتسماً لتلك الفتاه التي أعجبته، والتي طالما كان معجباً بها، ليس من تلك اللحظة فقط ولكن من قبل ذلك.

نصف ساعة من الآن، تذهب إلى غرفتها لتضع حقيبتها على الأريكة بجوارها...

لتستسلم لراحتها التي تحتاجها... بعد يومها الحافل ذلك، ممسكة بتلك البطاقة بجوارها لتنظر إلى الهاتف تطلب ذلك الرقم ...

-آلو أستاذ أحمد معايا؟!

-آلو،أهلاً آنسه منى؟!.

-أيه ده إنت عرفت منين؟!

-لا ما حضرتك معايا (TRUE CALLER)، بس الغريبه إنو متسجل أبو رحاب!!

- أبو رحاب، أبو رحاب مين؟!!

بتلك الضحكة البسيطة التي لاحظها أحمد في صوتها...

ضاحكاً هو الآخر...

- معرفش تقريباً دا صاحب الخط، أنا بهزر على فكره...

-عرفه إنك بتهزر، المهم... المهم رقمي القومي بقا قبل ما أنسى...

- اتصلت؟!

إنه صديقه مصطفى، يمتاز بتطفله المعتاد، سمين قليلا ذو الشعر المائل قليلا إلى اليسار، المتحدث عن متعة الحياة الزوجية للغير دون أن يحظى بها هو...

مشعلاً سيجارته التي اعتاد عليها في مثل تلك الأوقات؛ فهي حليفه في مواقف ضيقهِ وفي أوقات عمله اليومية والروتينية.

-أيوا يا عم اتصلت، بس علشان الرقم القومي مش أكتر...

جالساً على المقعد الموازي لمكتبه، ليحضر له نصيحته...

- ما هو الدور عليك إنت بقا يا بطل، أنت إلي تتحجج بأي حاجه علشان تكلمها بكره...

-حجه، زي أيه مثلا؟

-مش جيا تستلم الجهاز بكره صح...؟!

يتدخل بتلك النظرة، التي تبدو كنظرة الثعلب المخطط لأكل دجاجة ما...

أنا أقولك بقا تعمل إيه...

متمددة على فراشها حاملة لتلك الرواية بين يديها ومنهمكة في قرأتها، تسمع تلك الموسيقى الهادئة التي تدعو إلى راحة الأعصاب، بجانبها كوب من القهوة شريكها الآخر في قرأتها، فبدونه لن تكمل قرأتها.

-منى!منى! تليفونك بيرن...

-مينّ!؟

-معرفش والله مش متسجل...

أخوها الأصغر ذو الطبع التطفلي...

أخذت الهاتف منه، مغلقاً باب الغرفة خلفه ...

-أستاذ أحمد؟؟!

-أستاذ أحمد!!،عرفتي منين ومتقوليش ال(true caller) أنا مسجله بأخو... أبو رحاب...؟!

-هههه، لا والله حسيت إنو إنت...

-حلو إحساسك ده، عموماً أنا بتصل بيكي بس علشان أقولك الروتر بيتركب إزاي وكده...

معتدلة في جلستها، لتعير له انتباهها ...

-لا متخفش ما أنا معايا (كتلوج) وشارح كلّ حاجه...

-شارح كل حاجه إزاي؟ أنا قصدي على الإعدادات إلي جوه...

-آه ،ويا ترى بتعملوا الخدمة دي مع كلّ العمله؟!

-لا طبعا، بصراحه ليكي بس، قصدي يعني مع الجران بس، عموماً مش حتخسري حاجه، وعلشان ميتهكرش من حدّ، وإنو يعرف الباسورد وكده، أنا غلطان يعني؟؟

بتلك الابتسامة التي تعرف مقصده ونيته، أنه ذلك الشاب الوسيم الذي أعجبت به من النظرة الأولى في تلك الشركة، وهاهو اليوم يحدِّثها، نعم بغرض التعرف عليها.

-ماشي موافقة، بس فين؟ وأنا حجيب (اللاب)بتاعي وكده؟

-في كافيه كده أول الشارع وحقبلك فيه، أوك...

لقد نجحت تلك الخطة التي وضعها له مصطفى، سأتحدث مع تلك الفتاة التي طالما راقبتها منذ قدومي إلى ذلك المكان وسأتحدث مع ذلك الملاك البشريّ الذي أعجبني، فرصتي أتت لي من أجل إظهار إعجابي بها.

***

صباح يوم الأحد الساعة الآن السابعة صباحاً، حيث يستيقظ الجميع... من يذهب إلى عمله... ومن سيذهب إلى دراسته...

يومٌ روتينيٌّ مملّ، ولكن لا ينطبق ذلك مع تلك العائلة اليوم...

مصدر صوت من أم ذو الطبع الصباحيّ الدراسيّ من أجل الذهاب للمدرسة...

-يلا قوموا بقا وبطلوا كسل، علشان تعرفوا تسهروا بعد كده كويس، ومتقدروش تقوموا...

وجهان يبدو عليهما النعاس الشديد، كقطعة من أغصان شجرة ما قُطعت...

-يووووه حاضر يا ماما، قيمين أهو...

-يلا قومو عقبال ما أحضر الفطار، يلا عاوزاكو ربع ساعة وتكونوا تحت...

تقترب منه وهو على فراشه مستغرقاً في نومه لكي تقبلهُ على جبهته...

-يلا يا حبيبي علشان نلحق نفطر ونروح لخالد...

يبتسم لها بتلك العيون التي تحتاج إلى قسطٍ آخر من النوم...

- حاضر وأنا أخدلك النهارده أجازه من الشغل مخصوص يا ستي...

بعد تناول الفطار الصباحي اليومي لتلك العائلة...

- يلا يا ولاد علشان المدرسه، رواحو انتو النهارده مع عمكو حسام جارنا وأولاده، علشان أنا وبابا ريحين مشوار، وفي مفاجأة ليكو لما تيجوا، يلا...

طريقاً ممتداً وممهداً سائقاً سيارته الحديثة، مشعلاً سيجارته محلية الصنع بين يديه التي كلما عبرت منى عن كرهها لتلك الرائحة السيئة...

-تفتكري حيرضى يجي معانا؟

-أكيد يا حبيبي، مشفتش المره إلي فاتت كان بيبصلك بحب ووحشه أزاي، أكيد عاوز يرجع...

-أنا خايف عليكو وعليه، خايف منعرفش نتعامل معاه أو ميعرفش يتعامل معانا...

يخطر بباله تركه لفترة دون رعاية أسريّة تلك التي هو بحاجه إليها، من الممكن إن يؤثر بالسلب عليه! من الممكن تحويله إلى كره له!!

-لا أكيد لا، مبيعرفش يخبي حاجه كلّ مشاعره باينه مبيعرفش يكدب...

-نفسي يعرف إن بابا هو إلي كان مصمم على إنو ميتعلجش، لولا أنا، بس أكيد أتحسن أكيد...

ملتفتاً لها قاطعاً تلك الأفكار التي تثور في عقله...

- أكيد حيرتاح معانا، أكيد...

ينظر إلى حائط غرفته يحدق فيه، كمن يتأمل في تفاصيل لوحة ما بتفاصيلها وأجزائها، رأسه تميل قليلاً إلى يمينه، يغلب عليه الصمت...البؤس، بابتسامة كمن يبتسم إلى حبيبته، يغلب وجهه حزن يبديه بالرغم من تلك الابتسامة، في غرفه تبدو كملامحها من سجن قديم... بالرغم من نظافتها، جالساً على ذلك الفراش بجانبه مكتب مليء بالكتب العديدة من العلوم والرياضيات، هاوٍ لذلك النوع من الكتب، إنه ذاك الشاب ذو العقل التوحدي...

شاب في العشرين من عمره يبدو عليه الوسامة نوعاً ما، متوسط الطول والحجم...

-خالد، يلا علشان تآكل، آه في مفاجأه ليك بره، أحمد أخوك بره...

يلتفت لها بنظرة تميل إلى الحزن واليأس، ذلك الشعور الذي اكتسبه من وحدته.

-أحمد، أحمد روؤف عبد السلام هنا...

-آه، جه هنا علشان يطّمن على خالد ،لا... وكمان يخده معاه...

زفير بسيط مع حركة رأسه أعلى وأسفل، وابتسامته التي ازدادت جراء ذلك الخبر

من غرفة موازيه لغرفه خالد... تنظر منى في بهجة وترقب، تقف بجانب زوجها

يتناول طعامه ذلك الآخر، وينظر لهما كمن يحاول التعجل على شيء ما ليتركه سريعاً... ليذهب لهما بصحبة تلك الممرضة الأربعينية ليلتقي بأخيه أحمد وزوجته. لتمدّ زوجته يدها له، ولكنه لا يحب التلامس... من أعراض مرضه التي أخبرها بها أحمد مسبقاً، ولكنها لم تتذكر ذلك، مبتسمة له وهو لا ينظر لها بل ينظر إلى أخيه الذي لم يبدِ أيّ ردة فعل تجاهه.

-أحمد مزرش خالد من 45يوم و3 ساعات (وينظر إلى ساعته بيده) و5دقايق.

-يا آه يا خالد ودانت حسبها باليوم والساعة،المهم إنت عامل أيه دلوقتي؟

-خالد عامل أيه؟

-خالد كويس (بحركة رأسه أعلى وأسفل يميناً ويساراً) خالد لسه واكل حالاً... خالد أتعلم الرسم... خالد قرأ النظرية النسبية لاينشتين (ناظراً له وهو يتحدث)خالد عاوز يخرج من هنا...

ناظراً إلى منى في دهشة...

-مين دي؟، مكنتش مع أحمد المره إلي فاتت؟!

-دي ياسيدي منى، مراتي، كنت عاوز أعملهالك مفاجأة، أتجوزنا من خمس سنين.

ينظر لها الآخر في دهشة، متسائلاً لماذا لم يقل لي عن زوجته قاطعاً ذلك التفكير صوت رجل من الخلف، يبدو عليه في

الثلاثين من عمره يبلغ من الطول نوعاً ما، يرتدي زيه الأبيض (البلطو) رمز من يشغل تلك المهنه.

-دكتور عاصم ،المسئول عن حاله خالد

-دكتور عاصم سيف من اصول الفيوم مواليد القاهره 1985شهر اغسطس (متسرعاا في كلامه)انه خالد

بابتسامة يبديها لمن موجود.

-بالضبط كده يا خالد، لو سمحت كنت عاوز أقولك كلمتين على جنب كده

-أؤمر يا دكتور (متنبئً بما سيقول)

-أنا شايف إن خالد حالته أتحسنت كتير، دلوقتي ممكن يخرج عادي...

عيناه لم تفارقا تلك الزوجة كأنه يعرفها جيداً،وهي الأخرى تنظر له في شبه تنصت كمن يحاول الاختباء من شيء، مبرره ذلك الهروب في حديثها مع خالد...

-أنا بقا يا سيدي منى، منى سامح مغازي،26 سنة بس مش فكره الشهور والأيام زيك كده، وإنت؟؟

مقترباً منها وهو يتأملها متجهاً برأسه في الجهة الأخرى منها...

-خالد 21 سنه وست شهور و4 أيام، هو أحمد مقلش لمنى عن خالد قبل كده؟

-لا قالي، بس صدقني كان مستني بس يرتب ظروفه، ويجي يخدك من هنا، صدقني أنا مبسوطه جداً إني شفتك...

في صوت يبدو عليه الانزعاج من محادثته ونبرة بدا عليها السرعة من أحمد...

- يلا يا منى،(ملتفتا إلى أخيه) متقلقش يا خالد بكره حاجي أخدك من هنا...

مودعين من موجود من الممرضة وخالد وعاصم الذي لم تفارق عيناه منى، وهي الأخرى تلتفت من آن إلى آخر إليه في نظرة غضب، لاحظها أحمد الذي يملأ فكره الآن العديد من الأسئلة تجاه ذلك الدكتور...

صاعدين تلك السيارة بعد زيارتهما لذلك المشفى، وهو يدخن سيجارته في تلك الحالة المزاجية الغير مريحة له...

-الدكتور عاصم دا مش مريحني طول ما أنا بكلمه عينه مكنتش بتنزل من عليكي، كأنه يعرفك (ملتفتاً إليها) إنتي تعرفيه؟!

***

نافذه ممتلئة ببعض قطرات من ندى الصباح من الخارج من بواقي ما همس به الصباح على تلك النافذة، مشعلاً سيجارته في انتظار، يرتشف بعضاً من القهوة ينظر إلى ساعته من حين إلى آخر، يتمنى أن يمضي الوقت أسرع من ذلك، ولكن (الوقت هو الوقت... ولكن من موقف لآخر يختلف شعورنا به).

قاطعاً ذلك التأمل في النافذة، مخترقة دخان سيجارته التي أعلنت عن احتضارها في يده...

-ها أتخرت عليك، في معادي مظبوط أهو(وهي تجلس على المقعد الذي أمامه.)

- لا في معادك، أنا إلي جي بدري نص ساعة، وبيني وبينك كنت عاوزك تيجي بدري نص ساعه إنتي كمان...

- لا يا أستاذ أحمد إحنا متفقين على معاد، وأنا جيه مضبوط في معادي...

- الحقيقه تشكري في مواعيدك مظبوط، ها تشربي أيه بقا؟؟

-قهوه، ويا ريت زياده...

(محدثاً نفسه التي أعربت عن سعادتها من رؤية ذلك الملاك البشري من لحظة دخوله.)

- نعم، هي كما تخيلتها وهي تقف في شرفتها وهي تحتسي قهوتها، تلك الفتاه العاشقه للقهوه.

- متر! واحد قهوه زياده هنا لو سمحت.

- ها، أخبارك وأخبار ماما إلي بتزهق من الطوابير أيه؟

- (ضحكت له جراء ذلك السؤال) الحمد لله تمام، وأنت؟

- أنا كويس الحمد لله، نشكر الربّ.

- صحيح إنت إزاي في شارع سبعه هنا ومشفتكش قبل كده؟

مرتشفاً ما تبقى من قهوته بعد أن وضع تلك السيجارة جانباً.

- أصل أنا جي هنا من فتره صغيره، قولت أشوف سكن قريب من الشغل هنا، يعني واحد خريج هندسه زيي ما صدق لقى شغل كويس، قولت بدل ما أروح وأجي أشوف سكن قريب...

- وانتي خريجه أيه بقا؟؟

- أنا خريجه طب نفسي، حبيت المجال ده، ناس تقول كتير صعب عليكي علشان المرضى النفسيين وكده، وإلي يقول: مجانين وكده، بس أنا بحب التحدي، بس أنا حالياً مش شغاله في المجال ده، قولت اشتغل في هويتي (الرسم) وبجهز في أتيليه صغير كده...

***

في ابتسامه أبداها لها...

-(رسم)كويس جداً، إنك فضلتي هوايتك، أنا بقا كان نفسي أعمل زيك كده كنت نفسي أشتغل في هوايتي الأدب والشعر، بس والدي بقا، صمم إني أكمل واخش هندسه ...

-شعر! إنت بتكتب شعر؟

-آه شعر ونثر بس بقالي كتير مهمل الحكايه دي لظروف شغلي وكده...

- المهم خلينا في موضوعنا بقا، أنا جبت اللاب معايا أهو يلا بينا...

آخذيّن في تبادل الحديث الذي استغرق أكثر من ساعة، متمنياً كلاهما أن لا يمضي الوقت، وهما يتحدثان ولكنه هو الوقت يتلاعب بنا...

(الوقت هو الوقت ولكن الموقف يختلف).....

- كل دا يا منى؟، أتأخرتي ليه كده؟، إنتي قولتيلي ساعة ومش حتتأخري.

- معلش يا ماما، أصل أنا و(مي) اشترينا حجات كتير، لفينا كتير على المحلات.

تدخل إلى غرفتها لتضع بعض الحقائب بجوارها المليئة بالملابس، تنظر إلى هاتفها منتظرة رسالة ما كما وعدها أحدهم، أو أن يتصل بها، ممسكة به لتتصفح بعض صفحات التواصل الاجتماعي المملة، التي لا يوجد بها الملفت للانتباه...

(تن تن) نعم، ذلك الصوت الذي تعرفه جيداً معرباً عن رسالة ما لتقرأها.

"لقد رأيتك من قبل ...

رأيتك عندما كنت أزور تلك الجنة، جنة الدنيا وفي حّلمي جنة الآخرة

رأيتك ترتدين ثوباً أبيض تزيّنه تلك الجواهر اللامعة

التي كانت تتناثر من وجنتيك على ذلك الثوب

نعم، إنك ألماظ ترتدين ألماظ...

دعوت كثيراً أن تكون تلك الحورية التي سقطت من جنتها، إلى بؤس الأرض، فجعلتها جنة مثل التي أتيت منها... أن تكون لي...

وأكون أنا آدم الذي جزاه الله خيراً بعد عقابه بعد خلقه."

تلك الرسالة التي جاءت على حين غرة، أثرها بتلك العيون المتسعة بابتسامتها لتلك الكلمات، لحظة من التنفس لاستيعاب ما سيحدث بعد ذلك، تكتب رسالة له هي الأخرى.

- أيه الكلام التحفه ده؟

- بجد والله عجبك...

- لا بجد حلو جداً، كنت كتبو لمين بقا؟

- لا مش لحد معين طبعاً، تأليف كدا (نعم إنه لك أنت، لك أنت من تلك اللحظة الأولى التي رأيتك بها، وأنت ترتدين ذلك الثوب الأبيض وتقفين في غرفتك.)

يتحدثان أكثر عن أمور حياتهم، وعن أبيه وعن أخيه، وهي الأخرى تحدثه طال بينهما الحديث، الذي تحول إلى مكالمة هاتفية دامت لقرابة الثلاث ساعات دون انقطاع أو ملل من أحدهما .....

يومها الروتيني يبدأ الآن كعادته، لا يتخلله شيء، سوى شيء جديد، شيء لم تجربه من قبل، شعور يراودها بأن تسمع صوته صباح يومها حتى يبدأ، تشعر أنه بحاجه إلى مشاركة منه

في صباحها، تذهب إلى المطبخ لتعدَّ قهوتها، لتمسك الهاتف في تردد ملحوظ...

هاتفه يوقظه من نومه العميق، لينظر له في استيعاب وهو يفتح عينيه ويغمضها ليجد اسمها على هاتفه، ليمسك به مسرعاً، حتى يجيب عليها ...

-منى أيه المفاجأة الحلوة إلي على الصبح دي؟

-أنا قلت اتصل بيك قبل ما تروح الشغل، صباح الخير...

كم تمنى أن يستيقظ على ذلك الصوت العذب منها، ليتكأ بظهره عله فراشه

- صباح النور...

- أيه يلا علشان تلحق تروح الشغل...

- حاضر أنا كنت حقوم دلوقتي، إنتي عامله أيه؟

-أنا بخير، بس عاوزه أطلب منك طلب، ممكن متشربش سجاير أول ما تقوم غير لما تفطر...

-حاضر، دا حتى أول طلب تطلبيه مني، حاضر...

مودعاً لتلك المكالمة التي تمنى أن تطول أكثر من ذلك، ولكن كالعادة تختم بالوداع... مستيقظاً من فراشه معتدلاً في جلسته لكي يتأهب للوقوف.

ولكن ما هذا الصباح الذي حظي به؟، لقد حدثته فتاته واطمأنت عليه أيضاً، ذلك ما فكر به.

ليرتدي ملابسه، بعد أن دخل حمامه، ممسكاً بتلك العلبة التي تحتوي على سجائره ليشعل إحداها بقداحته، ولكنه توقف عن ذلك عندما سمع تلك الجملة بصوتها في رأسه:

(ممكن متشربش سجاير أول ما تقوم غير لما تفطر)، ليترك تلك السيجارة من يده وهو يبتسم، ليأخذ إحدى قطع الخبز والسكين ليضع بعض الجبن، لكي يتناول إفطاره، بعدما انتهى منه، ليترك ما تبقى وراءه ليغلق باب شقته ويذهب إلى عمله...

-أحمد المدير عاوزك،(زميلته في العمل تحدثه)، مالك مبسوط النهارده كدا ليه على غير العاده؟؟؟

- ليه هو أنا مكشر على طول وإلا أيه؟

لتضع ذلك القلم في فمها وتضيق عيناها في ابتسامه...

-لا حساك النهارده فرحان بزياده،عموما علشان متقولش بدخل في إلي مليش فيه... متتأخرش على المدير علشان سأل عليك من شويه...

-حاضر حروح أجيب (الفايل)من المكتب ورايحلوا حاضر.

يدخل المكتب ليبحث عن تلك الأوراق الخاصة بعمله، ليفتح الباب الآخر دون أن يستأذن كما هي عادته، صديقه في العمل مصطفى...

-ها كلمتها صح؟؟

(- ناظراً له بابتسامه)...

- ما تقول يا عم صباح الخير الأول... آه... لا وكلمتني النهارده الصبح كمان.

(ليقترب من مكتبه ويجلس على المقعد)

-أوه بقى الصناره غمزت يا معلم، يبقا إيدك عالحلاوه... صاصا بقا، جيزه للي فهمك حتعمل أيه...

-ياه عليك، متعملش أيّ حاجه ببلاش ابداً، وخلاص يا عم عزمك على الغدا النهارده ...

- هو دا أبو حميد، حبيبي، جيت في وقتك، أصل بعيد عنك مراتي قرفاني من أكل التلفزيون ده، الأكل الغريب إلي كل شويه بتعملوا ده ومش عارف الشيف حسن والشيف حسنين طول النهار، وفي الآخر تعملك بصاره، وتقولك دي بالطريقة الايطالية لا وك.....

-شششش اسكت كل دا علشان عزمتك، بطل رغي، والله حقولها إنك بتتريق على أكلها...

-لا وحياه أبوك، خلينا نعرف نبات في البيت النهارده، آه بالمناسبه عزماك بكره...

(ليضحك له): وأنا ذنبي أيه يا بني؟! حيبقا أنا وإنت...

-مليش دعوه ياعم، اللهم بلغت، وسلام بقا علشان إنت رغاي وصدعتني...

-هههه أنا برضه، ماشي يا عم يجي بكره ويحلها حلال، وعديني بقا علشان إنت معطلني وأنا متأخر على المدير.

-ماشي، بس متنساش بكره ها!! (وهو يعلو بنبره صوته لكي يسمعه، وهو يسير في الممر الطويل ليصل إلى مكتب مديره، ويطرق بابه)

***

-يا خساره يا خالد، جه زارك النهارده ومشي ولا أكنه جه أصلاً، بالرغم إني قولتوا ممكن يخرج النهارده عادي، داانت حتى كنت مجهز نفسك، أيه ده؟ هو بيزور حيوان في جنينه، صدقني إنت متستحقش كده، وإنت أحسن منو بكتير...

(ثعبان يغوي بهدوءه من يقترب منه، ليطمأن لسكونه الزائف، كما الشيطان، ليلقي باسمه داخل أذنه، نعم ذاك هو مقصده...):

- حالتك أتحسنت كتير، زي ما هو لاحظ، ورغم كده مش راضي يخدك، آه صحيح دا حتى أتجوز ولا قلك بالرغم إنو زارك بعدها، وإلي متعرفهوش كمان أنو خلف، أنا كنت عارف على فكره بس مرضتش أقولك علشان متزعلش...

(يلتفت إليه بعد أن ترك بعينيه الحائط أمامه)- خالد زعلان من أحمد، أحمد مقلش لخالد إنو أتجوز، أحمد مرضاش ياخد خالد...

(الابتسامة ولمعان عينيه بعد سماع إجابته يقترب منه...)

-شوفت يا خلوود كانوا بيعملوك أزاي هنا في الفتره الآخيره؟!، وجلسات الكهربا...والقعده في الأوضه الوحشه إلي

هناك دي؟!(ليشير إلى تلك الغرفة في نهاية الممر، يعرف مدى قسوتها.)

لينظر لها خالد، متذكراً كلّ ما حدث له بكل تفاصيله، والألم الذي لحق به والسؤال الذي كان يشغله...لماذا في تلك الفترة الأخيرة بالأخص؟!، أهذه إحدى طرق علاجهم؟، وإن كانت كذلك لماذا لم يبدؤوها معي ؟؟

والأصعب عليه من ذلك كله وحدته دون أن يزوره أخوه إلا فتراتٍ متقطعةٍ يزيد الوقت بين كلِّ واحدةٍ منها، كان يريد أن يقول له عمّا يجري معه هنا، ولكنه يتذكر كلام الممرضة فقد أخبرته: أنه إن أخبر أحداً فستزداد تلك الجلسات، ولكنها مجرد فترة قصيرة لولا تدخل دكتور عاصم ليمنع ذلك ...من أول مرة تعرض لها لذلك الموقف... ليتذكر ما حدث ذلك اليوم ...

-هو بيقول إن حيخدك الأسبوع؟! ده لما نشوف، أنا عاوزك تسمعني كويس في الكلام إلي حقلهولك ده...

ينزلان من سيارتهما، يبدو عليه الفضول في نظراته لها، غير أنه لا يريد أن يبدي ذلك، فضوله يقتله بالأخص... عندما قالت له: أنها ستجيب عليه عندما يصلان إلى منزلهما... ليستقبلا طفليهما اللذيّن وصلا من مدرستهما إلى البيت، ويقبلهما كما اعتاد وهي الأخرى...

- ماما هو بابا ماله في أيه؟

-لا يا حبيبي بابا جي تعبان بس من بره، ها عملتوا أيه النهارده في المدرسة أيه اتشقيتوا كالعاده ولا أيه؟

(بنظرة براءة أبداها كلاهما ويلوح آدم بيديه إلى الأرض غير راضٍ...)

-حسن صاحبي يا ماما أخد مني السندوتشات، وضربني يا ماما وأنا قلت للمس...

-حاضر يا حبيبي حروح المدرسة معاك بكره، ونشوف موضوع حسن ده (وهي تقربه منها وتقبله).

-يلا بقا روحوا الواجب بتعكوا، علشان بعديها تلعبوا ساعه بس زي ما اتفقنا النهارده، يلا علشان أدخل أشوف بابا.

تدخل إلى مكتب زوجها بعد أن ودعت طفليها إلى حجرتهما، لتجده يقف أمام النافذة مشعلا سيجارته التي كاد أن ينتهي منها، ومن الغريب أنه لم يبالِ لدخولها ...يجلس على مقعده أمامها، لينظر بعد ذلك في عينيها...

تمشي بخطوات بطيئة دون أن تحرك عينيها من عليه، تعرف أنه باشتياق ليسمع إجابتها عن السؤال الذي يشغله، تجلس على المقعد أمامه...

-ها، قولتيلي لما نروح البيت واحنا في البيت أهو، ممكن أعرف بقا مين دكتورعاصم ده؟ ولو تعرفيه ليه مقولتليش عليه قبل كده؟؟!

- أنا قبل كده قولتلك إن في حدّ كان معجب بيا في الكليه بس إنت مطلبتش التفاصيل...

ولا أنا كنت حبا أحكي أي حاجه عنه، إلا إني بجد أتمنيت إنو يختفي من على وش الدنيا.

-يعني هو دا إلي قولتيلي عليه إنو كان بيحبك وعاوز يتجوزك.

-ممم، طول ما أنا بتكلم معاه كان بيبصلك كأنو يعرفك من سنين، مخطرش في بالي أبداً أنو ممكن يكون ده (يضم على شفتيه في ضحكة قصيرة.)

- منى، أنا عاوز أعرف حالاً تفاصيل إلي كان بينك وبين عاصم؟

شمس يوم الأربعاء من صيف شهر يوليو، طريق مزدحم بالسيارات، منهم من يذهب إلى عمله ومنهم من هو قادم منه، وكلاهما اتفقا على زيادة الازدحام بسياراتهم...

-إنتي فين يا منى؟ أنا مستنياكي يا بنتي بقالي ساعة ينفع كده في الشمس دي؟!

-حاضر حاضر أنا في الطريق جيه أهو...

- طريق أيه والله لسه شكلك في البيت وبتشغليني... لا والله، أقولك اقفلي خلاص أنا شفتك أهو، سلام...

من بعد عناق وقبل بعد معاتبة على ذلك الوقت في الانتظار والزحام، هن كذلك الفتيات بعد عتاب وعناق...

-يلا بينا بقا علشان نلحق المحاضره...

بعد نهار ممل من المحاضرات، التي كلما ازدادت أخذت تعُج بالملل، فأنهم يفتقدون إلى خلق جو من الإثاره للطلاب وجذب انتباههم من حين إلى آخر...

-يلا يا ندى نروح نفطر علشان أنا فاصله بجد...

- يلا وبالماره علشان محضرالك مفاجأة هناك...

-مفاجأة ؟مفاجأة أيه؟؟

-ما أنا لو قولتهالك مش حتبقى مفاجأة يا ذكيه، يلا بس.

(تلك المقابلة التي كانت تحضر لها ندى بعدد لا يستهان به من الأيام مع أخيها عاصم، الذي رآها وهي تسير مع أخته ذات مرة في الجامعة، شاب في العشرينات من عمره لم يتبقى له سوى سنته التحضيرية من أجل التخرج، لقد أعجب بها ولكنه مثل غيره لم يتحدث معها، لذلك رتبت له ندى تلك المقابلة ليحظى بتلك الفرصة.)

فتاتان تجلسان وتتحدثان بإسهاب ممل عن غيرهن من الفتيات، كعادة بقية الفتيات...ليقطع حديثهن ذلك الصوت الآتي من خلف ندى...

-أهلا بدحيحه الدفعه، ها أتأخرت عليكوا؟

- أيه يا بني إحنا هنا من نص ساعة، أتأخرت ليه؟

-لا أبداً كنت بحلِّ مشكله لواحد صاحبي في الشئون هنا...

- آه يا عم ما أنت مسيطر هنا، نسيت أعرّفكوا ببعض، منى دا أخويا عاصم آخر سنه ليه هنا،عاصم دي منى صحبتي بقا إلي حكتلك عنها، أول مره تقبلها طبعاً!!

ليجلب أحد المقاعد ويجلس معهما وعيناه لم تفارقا منى التي تنظر إليه...

-لا إزاي، شفتها قبل كده وهي مشيا معاكي، أتشرفت بمعرفتك، وأوعي تكوني مضيقه ولا حاجه إني قاعد معاكو دلوقتي؟؟

-لا خالص، وأنا أتشرفت بمعرفتك...

-طيب حروح أجيب فطار بقا، واسيبكوا مع بعض شويه علشان حموت من الجوع.

لتذهب ندى وعينان منى لا تفارقها، يقاطع ذلك الترقب عاصم...

- لو محرجه ولا حاجه ممكن تروحي معاها،عادي...

-لا لا مفيش حاجه عادي...

يخرج سيجارة من جيبه ويبدأ بالتحدث..

- الدراسة هنا صعبه ومتعبه أنا عارف...

- قدرنا كده أنا كنت عاوزه أدخل فنون جميله لولا إصرار الوالد...

(يأخذ السيجارة من فمه مع اتساع العين بدهشة) فنون جميله!!!؛ ع فكره أنا بقدر الفنانين جداً واللي عندهم مواهب... (مقترباً منها بابتسامة باهتة) وخصوصاً الفنانين إللي زيك ...

نظراتها ف الأرض يملؤها الخجل وتخفي تأثير تلك الكلمات عليها...

-هى ندى أتأخرت ليه ؟؟؟!

(يتكأ بظهره على المقعد معتدلاً فى جلسته) حتلاقيها زمانها جايه، أيه زهقتي مني ولا أيه؟!

-لا أبداً والله بس غريبة ده المطعم قريب من هنا...!

(مقاطعة لتلك المحادثة): ها كنتوا بتتكلموا فى إيه ؟!

ينظر لها عاصم نظرات صاخبة وزفرة من دخان سيجارته

-ولا حاجه لحقتي تجيبي الاكل؟

-معلش يا سيدي لو جيتلكم بدري ولا حاجه، يللا بينا نفطر عشان ميته من الجوع...

بعد محادثات اقتربت من الساعة، منها ما هو ممل عن الدراسة، وكيفية معاملة الدكاترة المميزة له لتفوقه، ومساعدته للطلاب بشيء من التفاخر بنفسه، وذلك ما تكرهه منى ممزوجة ببعض المواقف من أمثال هؤلاء التي لاقت استحسانهم..

ذاهباً إلى منزلها على أريكتها المفضلة، بعد يوم شاق تأخذ نفسها كي تستريح... هاتفها بنغمته المميزة لاتصال من أحدهم...رقم غير معروف...

-آلو..مين؟؟؟!

-أيه روحتي ولا لسه ؟(ذلك الصوت المألوف لها.)

-جبت نمرتى منين؟!! (سألته مندهشة) ولكنها تعلم الإجابة بالفعل...

-من ندى؟!، أنا أسف لو دا ضايقك، بس كنت عاوز أطمن عليكي.

-مفيش مشكله لسه واصله حالا، وانتوا روحتوا؟

-آه ندى روحت وأنا فى مشوار كده...

وبعد أن يبدأ كلاماً وينهيه وهى معه على الهاتف، بعد مكالمة دامت لنصف ساعة

أدت فى النهاية بدعوة لحضور عيد ميلاده بعد يومين...

-لو مجيتيش ندى حتزعل على فكره.

-لا إن شاء الله جايه ...

احتفال صغير فى بيته بعض تلك الوجوه الغير مألوفة إليها، يوم عيد ميلاده الذي أتاح لها فرصة أن تدخل منزله لتتفقد كل ما هو موجود...

-منى! كنت عارف إنك جايه...

-حبيبتى يا ندى عشان خاطرتك إنتي بس...

(بابتسامة ساخرة): عشان خاطري أنا بس؟!

-قصدك ايه؟!

-ولا أيّ حاجة يا ستي تعالي بس عشان هدية لعاصم...

التفت إليهما من وسط الحشد الذي يقف معهم من أصدقائه ليقطع معهم تلك الأحاديث المملة عديمة الجدوى...

-كنت متأكد إنك جايه وشكراً على الهدية الجميلة...

تنظر إلى الأرض مره أخرى، وذلك هو مفرها من ذلك الحديث كلَّ مرة.

-منى تعالي معايا عاوزه أقولك حاجة.(نادتها ندى)

لتذهب معها الى شرفه منزلها بعيدا عن ذلك الزحام والاحتفال...

-بصراحه بقي عشان ملفش وأدور عليكي عاصم معجب بيكي؛ كان شايفك معايا مره واحنا راجعين من الكليه، وأنا بصراحه إللي عزمته على الفطار معانا عشان يتعرف عليكي مكنتش صدقه ولا حاجه ها أيه رأيك...

(نظراتها الخجلة ممزوجة بالفطنة لما يجري حولها.)

-ندى إنتي فاجأتيني بالموضوع ده!. بصراحه هو شاب كويس، ومحترم وليه مستقبل بس أنا مبفكرش ف الموضوع ده دلوقت خالص...

-يا عبيطه حد يلاقي حب بجد اليومين دول، صدقيني جربي ومش حتندمي.

-خليها على الله واللي ربنا عاوزه حيكون...

(يدخل من باب الشرفة) يللا يا جماعه عشان نطفي الشمع...

تدخل إلى صومعتها بعد عيد الميلاد، ولا تخفي مدى إعجابها بهذا الشخص، يقطع تفكيرها صوت هاتفها...

- إنه هو...(تتمتم)

-عجبك عيد الميلاد؟

-آه كان حلو جداً كل سنة وإنت طيب...

-آه صحيح عيد ميلادك إمتى؟؟

-12/5، ده عدى عليه حوالى شهر ونص...

-يا خساره كنا عاوزين نحتفل بيه، ع كده بقى أنتي برج القوس؟ أنا مؤمن جداً بحكاية الأبراج...

-لا عادي خالص، وأنا كمان مؤمنة بحكاية الأبراج...

-صحيح هى ندى كلمتك ف حاجه؟!

-هاا؟! كلمتنى ف إيه بالظبط؟(وهى تعرف جيداً ما يخطر بباله.)

-بصراحه بقى يا منى أنا معجب بيكي من أول مشوفتك مع ندى، ولو رافضه الفكره دي لحد متخلصي زى ما ندى قالتلي، أنا معنديش مانع وعايز أسمع ردك دلوقت...

(لحظة من الصمت تسود تلك المكالمة...)

-طب خليها على الله بس يا دكتور عاصم واللي ربنا عاوزه حيكون...

تلك الإجابة التي لم يحصل منها على ردّ، ولكنها تحمل كلا المعنيين من موافقة ورفض، ولكنه اعتبرها قبولاً منها ...

يوم بعد يوم من مكالمات هاتفية ومقابلات... إحداها ف الجامعة وأخرى ف أماكن عامة بصحبة أخته ندى أو بدونها.

يوم الثلاثاء كانت الساعة تدق بعقربيها حوالي الساعة الثالثة عصراً، تقف بانتظار شخص ما، لقد كانت تنتظر ندى... لقد اتفقتا مسبقاً على شراء بعض الملابس لهما، ولكنها تأخرت عن ذلك الموعد...

تقف فى الطريق الموازي لمنزل ندى، ما يقارب من نصف المسافة، تنتظرها والكثير من المضايقات حولها... من معاكسات وأصوات الباعة الجائلين، وازدحام السيارات... وغيره...لقد كانت مضطربة لا تشعر بالراحة، تملُّ من الانتظار...توجهت نحو العمارة التي تسكنها ندى...

الطابق الثالث كما تتذكر، تفاجئ بأن الباب لم يغلق جيداً، نعم، لقد كان مفتوحاً قليلاً...مواربا بعض الشيء، فكرت... لعل أحدهم دخل مسرعاً دون أن يغلقه خلفه...لكنه أوجست خيفةً

في نفسها...على أن يكون ذلك الشخص لصاً أو ربما حدث شيءٌ لندى... لم تضغط على زر الجرس، وتدخل سريعاً إلى المنزل، مخترقةً آداب الاستئذان التي اعتادت عليها...

صوت غريب يأتي من نهاية الممر، صوت أنثوي تضحك وتنطق ببعض الألفاظ البذيئة التي لم تعتد منى على سماعها من قبل...

ضربات قلبها التي تكاد أن تسمعها: ماذا يحدث بالداخل؟؟! (ذلك ما يخطر ببالها تلك اللحظة)

-نعم، سأدخل وأفتح الباب، الفضول يتملكها...لم تقاوم فتح الباب المغلق جيداً...

لتجد ذلك المشهد الشنيع أمامها الذي لن تنساه، ما دام الله ينعم عليها بشهيقها وزفيرها...

***

-اتفضل يا فندم الفايل اللي حضرتك طلبته مني... (مبدياً ذلك الوجه المبتسم كعادته لمديره.)

-ماشي يا غالي مع إنك متأخر نصف ساعة عن ميعادك، بس محضرلك خبر حلو النهارده...

-خير يا فندم....

-فيه سفريه كده للندن لمدة أسبوع، إنت إن شاء الله طالع مع فريق العمل بالشركة، لا وكمان لما ترجع ليك ترقيه، بقيت فى القسم التسويقي للشركه...

(فرحه تغمره وتملأ وجهه، وقد ازدادت عندما سمع ذلك الخبر.)

-بجد يا فندم! أنا مش عارف أشكرك إزاى! ...

-متشكرنيش يا أحمد... أنت تستحق أكتر من كده، إنت إنسان مجتهد وعندك حماس للشغل، بتفكرني بنفسي وأنا صغير، وممكن تكون مكاني هنا ف يوم من الأيام (يتكأ ع ذلك المقعد خلفه...) يللا بقى يا أستاذ إنت حتاخد وتدى معايا ولا أيه يللا على شغلك...

-شكرا يا فندم بجد مش عارف أقولك أيه أنا رايح بقى المكتب عشان عاوز أخلص شوية ورق...

يغلق ذلك الباب خلفه مشحوناً بطاقة إيجابية... كأن الحياة تبتسم له اليوم، منى جارته الجميلة تطمئن عليه هذا الصباح، وها هي خطوة إلى الأمام اليوم...

ينتهي من يوم شاق فى العمل حتى قرابة الثالثة عصراً، مودعاً زملائه فى العمل... ذلك الصوت من خلفه كما الذباب...

-متنساش بكره العزومه بقى...

(ملتفتاً إليه وهو يضحك)

-حاضر يا مصطفى سلام...

رجل كبير يرقد على فراشٍ أبيض اللون، الذي مال لونه إلى البهوت قليلاً، نائماً كالجيفة الراقدة في العراء...

فى ذراعه تلك الأنابيب المعلقة بأحد المحاليل، تجاوز عمره السبعين...(أيّ أنه يقول للحياة: وداعاً... ويرحب بذلك الاتنظار ف القبر من أجل حياة جديدة.)

-ها يا حج أخدت العلاج ولا لا؟؟، فين سهى مشوفتهاش وأنا داخل...

(بصوت متقطع بالكثير من الأنين الطفيف...)

-أحمد...حبيبي عامل أيه؟؟؛ كده أسبوع متجيش تشوفني...

-والله يا حج الشغل وكده...عندى ليك خبر يفرحك، أنا اترقيت النهارده، كل ده بفضل دعواتك إنت يا حج...

(يضع يده على خده بلمسة يغلبها الحنان).

-مبروك يا حبيبي...أخوك خالد عامل أيه دلوقت؟ بتزوره؟؟؟ واحشني وعاوز أشوفه قبل ماموت...

-بعد الشر عليك يا حج، أنا كنت لسه عنده أول إمبارح، وأطمن دي حالته بتتحسن يوم بعد يوم... مش عاوزك تقلق.

(يميل رأسه إلى الأمام مرة أخرى ليعتدل فى جلسته.)

-أنا عارف يا حبيبي إنك زعلان مني إني رفضت أعالجه وهو صغير، بس صدقني أنا كنت خايف عليه.

-متقولش كده يا حج، والحمد لله إن إحنا ودياه يتعالج فى الآخر... وحالته بتتحسن دلوقت مش عاوزك تقلق... طب أقولك على حاجه بس بيني وبينك، ومتقولش للحج رؤوف!!

(ليضحك له الحج... فهو يعرف أنها من عادة ابنه... تلك الدعابة ترضيه وتفرح قلبه.)

-قول يا حبيبي وحيفضل سرّ متخافش...

-ابنك شكله بيحب، منى إللى قلتلك عليها؛ قابلتها إمبارح وكلمتني النهارده الصبح تطمن عليّ، إدعيلي يا حج...إنها تكون من نصيبي...!

-إن شاء الله يا حبيبي...

-طيب أنا حسيبك دلوقت تستريح، وحشوف سهى كده عشان تحضرلك الغدا، تلاقيك لسه متغدتش عشان تاخذ الدواء... (ليترك المقعد متجهاً نحو الباب.)

- أحمد ...أخوك خلي بالك منه إنتو ملكوش غير بعض...

(يبتسم له.)

-حاضر يا حج متقلقش...

يغلق ذلك الباب خلفه ليجد سها أمامه فتاه ف العشرين من عمرها، ترعى عمها... يسلم عليها ويوصيها برعاية أبيه قبل أن يودع المنزل...

-آلو منى...

-أيوه يا أستاذ أحمد عامل أيه؟

-الحمد لله تمام كنت عاوز أقابلك النهارده ضروري، عشان موضوع مهم جداً جداً جداً.

-خير قلقتنى!

-لا مش حينفع فى التليفون خالص، أقابلك النهارده الساعه 8 ف المكان إللي أتقابلنا فيه أول مره متتأخريش بس...

الثامنة مساءً يمسك أحمد بهاتفه يقرأ واحدةً من الرسائل الالكترونية، ويتصفح جواله ليجد تلك الحكمة فى واحدة من الصفحات الشهيرة التي يتابعها:

" إن أردت شيئاً بقوةٍ فأطلق سراحه، فإن عاد إليك فاعلم أنه لك وإن لم يعد فلم يكن لك من البداية."

(جاءت منى مقاطعة ذلك التصفح...)

-أتأخرت عليك؟؟

-لا خالص زي أول مره متأخره عشر دقائق، ها تطلبي أيه؟

-عصير برتقال...

-جارسون...اتنين برتقال لو سمحت.

-ها أيه بقى الموضوع إللى مينفعش يتقال فى التليفون وجايبني هنا؟

- ها قهوتك إللي بتشربها كل يوم ف البلكونه جميله زيك كده؟

-قهوتى كل يوم!! إنت بتراقبني ولا أيه؟!

-بصراحه مكنتش أول مره أشوفك ف الشركه لما كنتي مع والدتك، أنا من وقت ماجيت الشارع هنا وإنتى لافته انتباهي

جداً...وعاوز أتعرف عليكي، وفرحت جداً لما شرفتيني لما جيتي الشركه، وحركة الراوتر والجو ده، كانت مجرد حجه عشان أقابلك، حتى الكلام إلي بعتهولك ع الواتس... صدقيني كان ليكي إنتي لوحدك لما كن...

-أنا كمان بحبك...

لينظر لها في سعادة بالغه بدت على وجهه، إنه أفضل يوم لي في هذه الحياة المملة التي لا يوجد بها جديد ،لقد أحييتني من جديد حواء هذه، لقد كان انتصاراً في عملي وانتصاراً لقلبي اليوم.

- طب أقولك على خبر حلو، علشان أثبتلك إن وشك حلو عليّ، أنا اترقيت النهارده في الشغل...

- بجد! مبروك إنت تستحق كل خير يا أحمد...

ليدخل ذلك الجرسون يقطع عليهم حديثهما في لحظات صمت حتى رحل، ليتحدثا مرةً أخرى قرابة الساعتين دون ملل من أحدهما، يعرّفها أكثر عن نفسه وأبيه وأخيه أكثر من المرة السابقة في مكالمته لها، وهي أيضاً تقصُّ له ارتباطها قديماً بشخص ما دون أن تذكر اسمه أو أيّ تفاصيل عنه، تريد أن تمحوه من ذاكرتها إلى الأبد...

***

ظهر يوم الثلاثاء بعد الأمطار المتساقطة على الطريق وكأنّ السماء تبكي من شيءٍ ما ناظراً خالد إلى ذلك الباكي فى الأعلى

رافعاً رأسه لا يأبه بالحديث الدائر في المقعد الأمامي في السيارة بين أحمد ومنى ليقطع تأمله...

-ها يا خالد سرحان ف أيه؟

(لينظر إليه سريعاً ثم إلى المقعد الذي أمامه ويهز رأسه)

-رؤوف عبد السلام قال لخالد ندعي كتير لما السماء تمطر...

-ها وبقى ودعيت بأيه؟؟

- ربنا يرحم رؤوف عبد السلام، خالد كان عاوز يشوف رؤوف قبل ميموت!!

-وهو كمان كان عاوز يشوفك (ينظر مرة أخرى إلى الأمام متمتماً): ربنا يرحمه...

ليعود مرةً أخرى لينظر إلى السماء ويتذكر والده ليقطع تفكيره صوت منى...

- خالد أهو البيت إلي هناك ده، وصلنا، ومتقلقش موضبالك أوضتك إمبارح آخر تمام...

ينزل من السيارة في تردد... لاحظه أحمد ومنى ويتفقد المكان الجديد عليه يميناً ويساراً ...إلى أن وقعت عيناه على هذين الطفلين الواقفين على باب المنزل لاستقبالهم، بدا أكبرهما في الخامسة من عمره (آدم)...أما الثانية فهي في الرابعة من عمرها (حوريه)...

-سلموا على عمكوا خالد يا أولاد.

(ركضا نحوه في لهفة، لم يشعر بها من قبل وحنان من هؤلاء الأطفال الصغار، لم يجرب ذلك الإحساس من قبل، وهو يتحسس رأسيهما بعد أن نظر مطولاً في الجهة الأخرى، ويترك يده من عليهما سريعاً.)

يدخل المنزل ليتفحصه جيداً في كلّ أغراضه وأثاثه وبالأخص تلك اللوحات المرسومة هنا وهناك، ويقترب من تلك اللوحة بالأخص في وجهه مباشرة، لقد أثارت إعجابه، التفت يساراً ليجد صوراً كثيرة... صور عديدة لأحمد وعائلته ...أحمد مع أبويه.. ليتلمس تلك الصورة والدموع تترقرق في عينيه...وابتسامة مرسومة على وجهه...ليقطع تأمله منى...

-ها عجبتك اللوحة بتعتي؟ أنا إلي رسماها...

ليشير برأسه لإبداء الإعجاب بها...

- طيب يلا أطلع أوضتك فوق بقا علشان تلحق تغيّر هدومك، وتنام شوية عقبال ما أحضر الغداء، ماشي، خد عمو يا آدم على أوضته فوق...

ليصطحبه الشقي الصغير ضاحكاً له، ويمدّ له يده... إلا أن خالد اكتفى برفع يده له ولكن لم يفكر الطفل في ذلك... و مشى إلى السلم الذي يؤدي إلى غرفته وخالد وراءه...

غرفة متوسطة الحجم، في نهايتها فراش أُعُدَّ إليه خصيصاً موازي لها أحد المكاتب الصغيرة عليه بعض الأوراق والأقلام، ليذهب إليه خالد مسرعاً ويضع عليه تلك الكتب من العلوم التي بيديه، بجانبه خزانة ملابسٍ صغيرة مليئة بالملابس له...

ذهب إلى فراشه ليودعه الصغير وهو مازال يتأمل تلك الغرفة التي سيعيش فيها الآن، ويعتدل في جلسته، ينزلق في فراشه ليغط في نوم عميق... فقد كان بالفعل بحاجة إلى النوم...

يد صغيرة تداعب وجهه، بينما كان غارقاً في نومه، بالنسبة لكابوسه اليومي متذكراً ما حدث معه... تلك الليلة في المشفى، ليستيقظ سريعاً، مما أخاف الصبي الصغير آدم الذي كان يحاول إيقاظه وقد أخذ ينظر إليه في دهشة هو الآخر....

-ماما قالتلي صحي عمو خالد علشان الغدا...

ويتركه سريعاً وقد أقفل باب الغرفة... ورآه، لينزل وراءه هو الآخر بعد أن أفاق جيداً من نومه...

أسرة مكونة من أربعة أفراد يتخذ كلٌ منهم مقعداً على الطاولة، وقد ازدادوا خمسة بذلك الضيف الجديد، يجلس على مقعده أمامهم ليتمتم بقراءة الفاتحة... قبل أن يشرع بطعامه وهو يهتز إلى الأمام و الخلف ليضحك عليه الأطفال الصغار، ينظر إليهما أبوهم نظرة غضب ليشرعوا في الطعام سريع... وبعد أنا انتهوا...

-أنا حقوم... أنا بقا أعملكوا شاي...

-خالد مبيحبش الشاي... خالد بيحب عصير تفاح... خالد مبيحبش الشاي...

-خلاص خلاص يا خالد،اعمليلوا عصير يا منى...

يتحدث أحمد مع خالد قليلاً عن راحته معهم، وهل هناك شيء يضايقه في المكان؟، ويقص عليه بداية تعارفه بمنى، وعن شراء المنزل بعد أيام عصيبة، مبرراً له عدم اصطحابه في تلك الفترة دون أن يرتب أموره، وبقي خالد مستمعاً بهز رأسه دون أن ينبس بكلمة...

-طب يلا علشان أفرجك على ماتش مهم، اسمو الكلاسيكو.

(ينظر له خالد): خالد بيشجع الريال، خالد مبيحبش برشلونه.

(ينظر له أحمد في إندهاش): أممم... إنت ليك في الكوره، طب تعرف مين في الريال بقا؟

-نافاس-راموس-بيبي –فران-مارسيلو-كارفخال-توني كروس –لوكا مودرتش- كرستيانو رونالدو-بيل-كاسيميرو-بنزيما – اسك.....

-خلاص خلاص ياعم شكلي أنا إلي ميح في الكوره بالنسبة لك...أنا بالكتير أعرف لاعبين تلاته، أنا بقا بشجع برشلونة وحنقطعكو النهارده، يلا علشان نتفرج عليه.

بعد يومه معهم، وبعد مشاهدته لتلك المباراة، وتناوله معهم عصيره وغيره مما لذ وطاب... و تبادل الحديث معهم، ذاب الحاجز الثلجي الذي كان أحمد يرغب في أن يعود وخالد إخوة...فهو متيقن أن المحبة يمكن أن تساعد في إتمام علاجه...

عادة خالد أن يخرج من المنزل... كانت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، تلك هي عادته المسائية قبل أن يخلد إلى

النوم... يتأمل فيها السماء... وهو يعطي كل نجمه فيها أسماً، ولكنه أضاف هذه المرة ثلاثة أسماء جديدة(منى- آدم- حوريه).

ضجة شديدة تأتي من المنزل المجاور له، بدأت للتو، أخذ يقترب بحذر شديد من المنزل ربما اقتحمه أحدهم..أو دخله دون أن يستأذن...ولكن الصوت المزعج الذي كان يجذبه لمعرفة مصدره جعله يضع يديه على أذنيه...فقد كانت الأصوات مزعجة...ورغم ذلك اقترب يدفعه فضوله وهو يضع يديه على أذنيه...مقترباً من ساحة المنزل...

صوت الموسيقى المزعج بضجيجها، والعديد من الشبان والشابات يلهون في الرقص، ومنهم من يحتسي الجعة، وهو ينظر في اندهاش لهم جميعاً، لم ير ذلك المشهد من قبل صوت يأتي من خلفه...يجعله ينظر للخلف ...

-ها مش عجباك الحفله ولا أيه؟؟

فتاه في العشرين من عمرها، ترخي بعض خصل الشعر غريبة اللون على وجهها، ذات وشم على كتفها الأيسر، عيون زرقاء، ممسكة بيدها واحدة من هذه الزجاجات التي رآها قبل قليل، تخرج زفيراً نحو وجهه محملاً ب دخان غريب الرائحة...

يتركها راكضاً للبعيد، خائفاً مما قد يجده من أصحاب ذلك المنزل، بينما حاولت أن تمسك بيده وهو يهرب ولكن دون جدوى.

-إنت يا.....، أنا أسمي (سو)... بصوتها العالي الذي لم يأبه به وهو يجري بخطوات سريعةٍ نحو منزله، ليدخله ويغلق بابه ويصعد غرفته سريعاً.

لكنه بقي ينظر من النافذة على ذلك المنزل ليجدها مازالت تحدق في البعيد والدهشة مرتسمة على وجهها، ثم التفتت إلى أصدقائها وكأن شيئاً لم يكن، لم يجد بدّاً من الذهاب إلى فراشه، وهو يمسك رأسه بيده في اهتزاز وهو يتمتم...

- خالد دخل البيت من غير استئذان خالد غلط، خالد غلط ...

***

في تمام الساعة العاشرة مساءً، وصل من عمله للتو إلى بيته ليستريح قليلاً قبل أن يمسك الهاتف...

- إنتي فين دلوقتي؟

- أنا بلبس وبجهز، إنت إلي فين؟

- أنا لسه واصل من الشغل أهو حقوم ألبس واكلمك تاني...

ينتظر تحت منزلها ممسكاً بسيجارته التي كاد أن ينتهي منها، ليجدها تنزل من المصعد بأناقة اعتاد عليها، يتبادلا الابتسامات، كما اتفقا ليلة أمس أن يصطحبها إلى والده كي يطمأنا عليه... وها هو يصطحبها الآن إلى منزله القديم الذي يسكن به والده المريض وسها ابنة عمه التي ترعاه، ليجداه كما هي حالته لم تتغير عن المرة السابقة التي زاره بها أحمد منفرداً،

بل أنها ازدادت أكثر من المرض الذي أصابه(فيرس سي بالإضافة إلى مشاكل قلبية).

تنظر لهما ابنة عمه في استفهام لتلك المرأة التي لم ترها من قبل، ليقدمها لها أحمد...

- سها، دي منى خطبتي، أحب أعرفك يا منى سها بنت عمتي...

(تتمعنها من أعلى لأسفل بغير رضىً عنها، فلطالما كانت تتمنى أحمد زوجاً لها، ولتغلق شفتيها إحداهما فوق الأخرى لتعبر عن ضيقها منها.)

- أهلاً، أنا رايحه أحضر العشا لعمي...

(لتتركهما وتذهب سريعاً وتبدأ في البكاء وحيدةً في المطبخ دون أن يشعر بها أحد.)

ليعبر كلاهما الباب المؤدي إلى غرفة أبيه، على نفس حالته...جلسته وتلك الأنابيب بيده المتدلية من أحد المحاليل للمساعدة على إنعاشه، ولكن ما لاحظه أحمد بالفعل هو أن حالته تسوء بالفعل يوماً بعد يوم، فيسرع نحوه ويبدأ بتقبيل يده...

- أيه يا حج، أخبارك دلوقتي؟

- أنا بخير يا حبيبي طول ما أنتو بخير...مين القمر إلي معاك دي؟

- دي يا حج منى إلي كلمتك عليها...

(لتقترب منه هي الأخرى وتبتسم له.)

-أهلا يا حج، ألف سلامة عليك، أنا مبسوطة جداً إني شفتك النهارده...

- أهلا يا حببتي (لينظر إلى أحمد مره أخرى)

-أحمد خالد عامل أيه دلوقتي؟، أنا عاوز أشوفه.

-حاضر أنا حجبهولك بكره أستأذن من الدار وجبهولك حاضر...

-طيب يا حبيبي، يلا روح وصل حببتك علشان متتأخرش ومتقلقش أنا كويس...

-حاضر يا حج حاضر.

ليقبل يديه بتلك القبلة المختلفة عن كل مرة يقبلها له، وكأنه يشعر أن تلك هي القبلة الأخيرة له، يودعه هو ومنى ويلاحظ عدم تواجد (سها) التي ذهبت إلى المطبخ، متسائلا في ..ما الأمر؟ ليجدها في الشرفة تعطي له ظهرها، يقف بصمت دون أن يوجه لها أيّ حديث، ثم بعدها يرحل مع منى التي كانت تنتظره في الخارج...

- على فكره شكل سها دي بتحبك!

- بتحبيني أيه يا شيخه بس؟ بنت غلبانه وكويس إنها وخدا بالها منو، المهم أنا عملك مفاجأه دلوقتي، أيه رأيك نروح نتعشى في أيّ مكان إنتي تحدديه؟!

- بجد، خلاص أنا عارفه مطعم قريب من هنا...

بعد أن تناولا العشاء وتبادلا أطراف الحديث من هنا وهناك، بعضه مضحك والآخر عن الحياة، إلى أن انتهيا إلى أن يذهب كلٌّ منهما إلى بيته، و يرن ه هاتفه يرن من رقم (سها) ليسمع منها بكاءً متواصلاً دون أن يفهم من كلامها شيئاً في البداية حتى هدأت قليلاً...

-أحمد البقيه في حياتك...

***

همسات الصباح تلوح على وجهه من شق النافذة التي تركها شبه مغلقة ليلة أمس، يخترق شعاع من شمس يوم جديد ويتعامد على عينيه، يستيقظ من نومه، ويبدأ يومه الجديد في بيت أخيه (أحمد) ومع عائلته الجديدة.

يعتدل في جلسته من على فراشه ليذهب سريعاً إلى النافذة ويغلقها، ويبدأ في تبديل ثيابه التي كان ينام به، ويلقي بنظره من النافذة مرة أخرى إلى المنزل المجاور متذكراً ما حدث ليلة أمس، ليبدأ بلوم نفسه على ذلك... يبعد نظره عن تلك النافذة ليتجه إلى باب غرفته، وقد سمع طرقاً من الخارج...

- مين بيخبط على خالد؟

- أنا منى يا خلوود يلا قوم بقا علشان نفطر...

- خالد صاحي(لينظر في ساعة يده) من تسع دقايق ولبس...

- ماشي يا خالد واحنا تحت أهو...

ينزل من على ذلك الدرج، ليرى تلك الأسرة تجلس على الطاولة وأمامهم ذلك الإفطار اليومي، ولا جديد عن ليلة أمس سوى شيء واحد فقط؛ أن هذان الصغيران يرتديان ملابس غريبة لم يرها من قبل، إنها ثياب دراستهما الروتينية... نعم (آدم) في الصف الأول و(حوريه) في حضانتها معه في تلك المدرسة، بجانبهما حقائبهما الصغيرة.

-ها ياخلوود عرفت تنام إمبارح؟(سأله أحمد)

-خالد منمش زي إمبارح كده قبل كده، خالد مرتاح في بيت أحمد...

ظهرت الابتسامة بتأثير تلك الإجابة على وجوه الأسرة ...

-بابا ممكن عمو خالد يوصلنا النهارده المدرسه؟!

-لا يا حبيبي عمو خالد لسه ميعرفش المنطقه هنا كويس...

(لتقاطع حديثه منى)

-لا يا أحمد المدرسة على أول الشارع هنا، ممكن يوصلهم ويرجع تاني، علي الأقل يغير جو ويتعرف على الحي هنا...

-فكره برضه أيه رأيك يا خالد؟؟

(ليحدثهم خالد وهو يتناول طعامه)...

-خالد يعرف المكان إلي بيسيو كويس، خالد عاوز يوصل آدم وحوريه.

- خلاص ماشي، طيب حقوم أنا علشان ألحق الشغل، في إجتماع يا دوب ألحقه. (ليودع زوجته بقبلته المعتادة الصباحية ولأولاده.)

ليذهب الطفلان نحو(خالد) يمسكا بيديه...

-يلا بينا يا عمو...

- طيب يا ولاد أستنو بس يكمل فطارو وحيجي معاكو...

- لا لا خالد شبع، خالد حيروح مع آدم وحوريه.

- ماشي يا خالد وأنا رايحة الشغل، لما ترجع كده مش حتلاقي حد هنا، قدامك التلفزيون والتلاجه وإلي إنت عاوزه، كلمني بس... أنا كتبالك نمرتي جنب الفون الأرضي هناك...

مكتفياً برده لها بتحريك رأسه لأسفل وأعلى ليدل على الفهم والموافقة، تلك هي عادته...ليصطحب هاذين الطفلين إلى مدرستيهما، في الطريق يسرعا في سيرهما وهو خلفهما هو الآخر، ليلحق بهما وتلك الابتسامة والسعادة تملأ هذين الولدين الصغيرين، ولكن لا يعرف ما ذالك الشعور الذي كان ينتابه في ذلك الوقت، كأن الحياة ابتسمت له من جديد مع هذين الطفلين(ادم،حوريه).

حتى أوصلهما إلى باب مدرستيهما، وكلاً منهما يودعه بابتسامة، وهو يبتسم لهما، حتى ذهب بعيداً في سيره وتغمره السعادة بذلك.

- ممكن أمشي معاك شويه؟؟!

لينظر لها في دهشة، قاطعه شعور المفاجأة من رؤية تلك الفتاه التي كانت تمشي خلفه دون أن يدري بها... (سو).

ليمشي مسرعاً منها دون أن يبدي لها أيّ اهتمام، ويسرع في خطواته وهي تلحق به في ابتسامة بدت عليها، من ذلك الشاب الوسيم غريب الأطوار...

- أيه ياعم بكلمك مش سمعني؟!، أيه صوتي واطي للدرجة دي ولا مش سامع؟

(لينظر لها، ليس إلى وجهها بل إلى قدميها من أسفل.)

- ممكن خالد يسمع الأصوات المنخفضه لحد 20ديسيبل، والبسيط بين 25ل39ديسيبل، وصوتك كان واضح.

لتبدي انبهارها بتلك المعلومات التي قالها لها، تلك المعلومات الدقيقة التي سمعتها منه للتو، كيف يعرف تلك المعلومات؟، ليخطر بذهنها شيء واحد

نعم، إنه مصاب بالتوحد... نعم، تلك هي أعراضه يبديها الآن...

- ممكن أعرف بقا إنت جريت إمبارح ليه أول ماشوفتني؟؟

(ليدير وجهه إلى الجهة الأخرى.)

-خالد آسف أنو دخل بيت من غير ما يستأذن.

-أممم أسمك خالد، (لتمد يدها في ابتسامة) وأنا سو أو أسراء ...

(لم يبال لتلك اليد الممتدة)، خالد رؤوف عبد السلام 6\3يوم1996

-إنت برج الجوزاء على فكره...

-خالد مبيأمنش بالأبراج(ليدير وجهه مرة أخرى ويبدأ في السير.)

-أنا أسفه خلاص، مجرد استنتاج....طب أنا عاوزه أتمشى معاك على فكره.

- وخالد مبيحبش يتمشي مع حد...

-ولا أنا (سو)على فكره، بس حتنازل وامشي معاك.

ليبدأ كلاهما في حديث عن انتقاله إلى بيت أخيه أحمد وعن أسرتها التي تتركها وحيدة، ولا تنعم عليها بالزيارات إلا من وقت لآخر، وعن طبيعة تلك الحفلات اليومية التي يقوم بها أصدقائها.

ليأخذهما الحديث قليلا حتى وصلا إلى منزلها.

- دا بيتي بقا، واحد صاحبنا كده دخل إمبارح من غير ما يستأذن...

(لينظر لها في ضيق)

-خالد قال لسو انو آسف.

-أنا بهزر على فكره، وأنا مش زعلانه يا سيدي.

ليودعها بتلويح يديه ويذهب سريعاً إلى منزله ليجدها تناديه بصوتها العذب...

-خالد، أنا مبسوطه جداً إني أتعرفت عليك(بابتسامتها تلك.)

لينظر لها هو الآخر ويضع يديه على أسفل رأسه بابتسامة حاول أن يخفيها، ويدخل إلى منزله.

لم يجد أحداً كما أخبرته منى قبل ذهابها إلى العمل، ولكن كان من الغريب أن يدخل ذلك المكتب الذي لم ينتبه له منذ أن دخل المنزل...

مكتب كبير مليء بالعديد من الكتب منها: الفلسفة والأدب وبعض العلوم المختلفة وغيرها وغيرها...

وجهاز حاسب ألي على المكتب بجانبه العديد من الأوراق ولكنه لاحظ (فايل) مميز لونه، على تلك الأوراق ليذهب له ويتفحصه بدقة ليجده مطابقاً لذلك الشكل الذي أخبره دكتور عاصم به، مليء بالأرقام في أعمده متراصة... إنها الميزانية للشركة التي يعمل بها أحمد وأثناء قراءة ذلك الملف، ليجد هاتفه ذا التنبيه المميز في جيبه... نعم، فهو يثير أعصابه... أصوات الهاتف المميزة، الهاتف الصغير الذي أعطاه له دكتور عاصم ليتواصل معه، لم يخبر أحداً عنه كما أكد عليه عاصم.

-آلو، خالد عامل أيه، إنت بخير؟

- دكتور عاصم خالد كويس، خالد لقي الملف إلي قولتلوا عليه...

-طب كويس أوي يا خلود، مفيش حد عندك في البيت صح؟!

-أحمد ومنى في الشغل، آدم وحوريه في المدرسة، خالد لوحده في البيت.

(ليضحك ضحكة صغيرة في الهاتف بدا عليها الارتياح)

-ركز بقا معايا يا خلود في الكلام إلي حقلهولك ده، الورق ده عوزك ترميه في أقرب نار عندك، في دفايه صح؟

(لينظر إلى تلك المدفأة المشتعلة هناك قرب باب المنزل)...:آه فيه...

-طيب عاوزك ترميه هناك بقا يا بطل، سلام.

مغلقا هاتفه معها، ممسكاً بذلك الورق فى خوف شديد جراء ما سيعقبه من عواقب وخيمة... إن علم أحمد، نعم سيعرف ولكن ماذا أقول له؟ أكان من غير قصد؟ ولكن كيف وأنا أبحث عن ذلك الورق بالأخص.

يقطع ذلك التفكير فعل واحد ألا وهو أن يلقي بذلك الورق فى اللهب ليشتعل أمامه ويتحول إلى كومة من الرماد تتطاير مع حطام النار الموقده به.

راكضاً إلى غرفته تملؤه العديد من المخاوف من عواقب ذلك الأمر، جلوسه على ذلك الفراش وقد لاحظ ظهور إسراء فى شرفتها تلوح له بيدها ولكن غير مدرك لذلك... أغلق النافذة.

على غير العادة تأتي منى من ذلك الاستوديو القريب من المنزل فلا تحتاج سوى لسيارة أجرة لكي تصله داخلة المنزل، ولكن ما يشعرها بالغرابة لماذا تلك المدفئة تشتعل بتلك الشدة؟!، إذا كان خالد هو من أشعلها مقتربة منها متسائلة...فلم يكن الجو بارداً لدرجة أن يشعلها... مبصرة لذلك الورق الذي يشتعل أمامها محدقة عيناها بذلك الركام الذي تحول إلى رماد، ولكنها أتت في آخره دون أن تنقذ أيّ ورقة منه.

ماذا إن كان يدور فى عقلها هو صحيح؟ أهو ورق لعمل أحمد الذي سيسلمه غداً لمديره؟ من الذي أتى به إلى هنا؟؟

إنه الشخص الموجود بالفعل...لا لا ليس خالد من يفعل ذلك؟ ناظرةً إلى الأعلى إلى غرفته ...نعم إنه موجود في الأعلى، أتصعد وتواجهه؟؟

ذلك ما كانت تنوي فعله حتى قطع تفكيرها ذاك مع آخر ورقة تحترق... دخول أحمد من العمل، نعم، إنه موعد عودته...

واضحا اضطرابها فى نظرتها إليه، أتحدثه عن ذلك الأمر أم تخفيه؟!

(حضنها من الخلف مقبلاً رقبتها)

- حبيبتي حضري الأكل أنا ميت من الجوع.. (بصوت مضطرب)

-حاضر ثوانى وحسخن الأكل...

-ما لك يا منى فى إيه؟؟

-لا، أبدا يا حبيبي ضغوط شويه بس فى الاستوديو مش أكتر...

(مبتعدة عنه سامعة صوته من ورائها)

-إنتي كنتي مولعه الدفايه ليه يا حبيبتى؟! دا حتى الجو حلو النهارده؟

(واقفة فى مكانها لا تعرف ماذا تقول له...)

-لا يا حبيبي دا أنا كنت بولع شوية ورق كدا ملوش لازمه كان على المكتب عندي...

(محدثة نفسها،خالد سيقول له أم سيخفي عليه الأمر؟ تاركة إياه ذاهبة إلى المطبخ)

يطرق باب الغرفة ثم يفتح الباب واجداً إياه جالسا القرفصاء على فراشه...

-يللا يا خلوود عشان نتغدا زمان الولاد جايين من المدرسه دلوقتى...

(مكتفياً له بتلك النظرة محركاً رأسه)

-حاضر، خالد نازل ورا أحمد دلوقتى.

طفلاهما عائدان من يوم دراسي شاق... تملأهما البهجة، يملأن ذلك البيت بالحماسة وأمهما تضع الطعام على الطاولة، وأبوهما منتظراً... مداعبا ولديه وهما يقصان عليه ما حصل

معهما فى يومهما، وبجانبه يجلس خالد في ترقب ملحوظ جالسين جميعاً حول المائدة بدأ أحمد كلامه...

-إمبارح الواحد معرفش ينام من صوت الأغاني إللي جنبنا دي، البت إسراء مش ساكته إلا لما أبلغ البوليس.

قالت منى: شباب بقى يا حبيبي وكدا..

-شبااب! أموت وأعرف أهلها سيبنها كده ليه؟ ولا أنت أيه رأيك يا خالد؟

-خالد قابل إسراء النهارده الصبح بعد موصل آدم وحوريه...

(ناظراً له فى ابتسامة) -شكلكو كده حتبقو اصحاب يا خلوود هى بنت مجنونه كده خلي بالك فى تعاملك معاها...

(غير ناظر له خالد، آخذاً ذلك الطبق أمامه وهو يلاحظ نظرات منى له كأنه يعرف ماذا فعل هذا الصباح)

انتهوا من طعامهم كأن شيئاً لم يكن ...

-طب أدخل المكتب أنا بقي عقبال ما تعملي الشاى يا حياتي عشان أخلص الحسابات دى.

(تنظرفى صدمه بدت على وجهها وخالد الآخر في ترقب وصمت وهي تنظر هي الأخرى بينما أحمد يمضي إلى مكتبه.)

قاطعاً صوته العالي وهي في مطبخها تعدُّ الشاي بدا عليه العصبيه والغضب .

-منى!!!.... منى!!!

(محدثة نفسها بالقول المعتاد في ذلك الموقف: "ربنا يستر")

-ورق الحسابات اللي كان هنا على المكتب راح فين؟؟؟؟

(ناظره له فى دهشه تحول ان تبديها له ؛ورق! ورق ايه؟!)

-انتى نضفتى المكتب النهارده ؟

-آه يا حبيبي وأخدت ورق كده ملوش لازمه...

(مسرعاً إلى تلك المدفئة ملاحظاً أحد الأوراق الجانبية تحتوي على بعض الأرقام ناظراً لها وهو محدق بعينيه في دهشة وغضب شديدين)

-مش مهم ...بتقولي مش مهم؟! انتى عارفه انتى عملتى أيه؟؟

وخالد يجلس شاعراً بالأسى تجاه منى التي فدته بتلك التضحية ويتساءل لماذا فعلت ذلك؟؟؟

يتحدثان ويتحدثان عن ذلك التصرف الغبي غير مبالية به أو آخذة برأيه كما يقول...

أسفرت عن غضب أحمد الشديد، ورطمه الطاولة وتركه للبيت بذاك الصوت المرتفع وراءه جراء إغلاقه الباب بعصبية...

يقود سيارته في طريقه مسرعاً؛ نعم ...قيادة متهورة وهاتفه بجانبه، إنها منى تحاول تهدئته، ولكنه يغلق ذلك الهاتف نهائياً... فهو لا يريد محادثتها الآن...

كل ما يخطر بباله: "ماذا أقول لمديري؟؟ " إنها أوراق مهمة جداً للشركة فهي تعتمد على مصيري.

(مقاطعاً ذلك التفكير سيارة كبيرة تظهر أمامه فجأة، سيارة تهوي بمن عليها، كأن الزمان توقف عند تلك اللحظة... زجاج متناثر يملأ وجهه وعينيه، ويهوي فى الفضاء بسيارته... يشعر بأصوات حوله تقول:..)

-حد يكلم أهله؟؛ كل إلي لقيناه معاه البطاقه والتليفون ده

لا يرى شيئاً سوى بعض الوجوه كأن أحدهم....

-غرفة العمليات...غرفة العمليات، دكتور حسين...دكتور حسين!...

حالة من القلق تسود البيت، الطفلان جالسان خائفان على الأريكة بجانبهما خالد الذي لم يلبس شيئاً... من الوقت حتى قام من جلسته مسرعاً إلى غرفته، كل ما على منى أن تفعله هو أن تتصل بأحمد الذي يعطيها أن الهاتف مغلق، هذا الشيء الذي يزيد من قلقها... ولكنها تضع ذاك الهاتف بجانبها، ذاهبة إلى ولديها حاضنة إياهما.

- متخافوش يا حبايبي متخافوش، يللا على أوضتكم

بدا عليهما الخوف والقلق فى جملتهما تلك: "احنا خايفين يا ماما "

(محاولة أن تبتسم لهما كي لا تشعرهما بشيء.)

– متخافوش بابا كان زهقان شويه، وعلى فكره حيزعل أكتر لو جه لقاكو كده يللا عشان عندكو واجب يللا...

(حاضنة إياهما وتلك الدموع تملأ عيناها.)

تاركيّن إياها ليذهبا إلى غرفتيهما... ولكنها تنظر إلى أعلى تعلم ما عليها فعله تطرق باب الغرفة تسمع خالد يقول:

-ادخل...

(تفتح ذلك الباب وقد مسحت دموعها وهى تحاول أن تتماسك أمامه)

-عجبك إللى حصل ده؟

(ناظراً لها ثم إلى النافذة غير مبالي)

-حصل أيه خالد ميعرفش قصدك أيه؟

(مسرعه اليه ممسكه برأسه تحاول أن تواجهه إليها)

- بصلي وأنا بكلمك إنت عارف أنا قصدي أيه؟...

-حرقت الورق ليه يا خالد عاوز تبوظ شغل أخوك ليه وأنا إللى قولتله إني أنا إللي عملت كده عشانك إنت احكيلى...

(مبعداً يدها من عليه)

- خالد ميعرفش قصدك أيه؟... خالد محرقش حاجه!!....

-لا إنت عارف قصدي أيه؟ وإنت إللي حرقت الورق... متكذبش...إللى أعرفه عن خالد إنه مبيكذبش...

(واقفاً بجانبها)

- آاه خالد هو إللي حرق الورق...

(موجهة وجهها إليه)

- وعملت ليه كده؟؟؟

-خالد مكنش يقصد يعمل كده مكنش يقصد ...

(يتركها فى ذلك الموقف مبتعداً عنها راكضاً إلى الخارج)

يركض لا يعرف وجهته خارج المنزل... ولكنه يقابل إسراء التي كانت واقفة مع بعض أصدقائها، تتركهم فى عجله لتأتي إلى خالد، الذي انتهى به المطاف للجلوس فى تلك الحديقة التي تقع عند أول الطريق مقتربة منه في لهفة وحرص شديد...

-خالد ما لك كنت بتجري ليه؟

(غير ناظر لها وهو يهز رأسه أعلى وأسفل)

-مفيش خالد عاوز يقعد لوحده شويه ...

(مقتربة منه فى هدوء جالسو بجواره)

- بس سوو عاوزه تتكلم مع خالد شويه...

(واقفاً محاولاً أن يمشي ممسكةً بيده)

- بقولك سوو عاوزه تتكلم مع خالد...

(ناظراً لها وتلك الدموع فى عينيه)

- وسوو عاوزه أيه من خالد؟؟

-بص يا سيدى شكلك متضايق دلوقتى وأنا بدورى بقا أفكك شويه...

(فى تعجب لها): ازاااى؟؟!

-نادر صاحبنا عامل حفله النهارده وانت حتيجى معايا ... الحفله حتبدأ الساعه 11.

-بس خالد ميعرفش حد ومبيحبش يقعد مع حد...

(واقفه بجانبه واضعة يديها على يده)

- بس خالد يعرف سوو وده كفايه... وخالد حيروح مع سو ولا إنت عاوز تزعل سوو...

(ناظرةً له في ابتسامة): وسوو حتفوت على خالد النهارده الساعه 10 بالدقيقه حتلاقيني عندك...

لم يدريا بالوقت الذي أمضياه معاً وهما يتحدثان... وعماذا يتحدثان طوال ذلك الوقت؟ ولكن كيف يحدثها خالد بتلك الصداقة التي لم يعتد عليها مع أحد من قبل حتى مع أخيه أحمد أو غيره؟...ولكنه يتحدث معها هي: تلك الفتاة الجميلة والجريئة أيضاً التي لم يتخيل أن يتكلم معها.

حديث يتلو حديث قرابة الساعة، حتى اقتربا من منزله...

منى تغلق الباب بسرعة واضحة وتجد أمامها خالد وقد نظرت إليه نظرة لم ينسها أبداً...وتقول له: إنت السبب!!

نعم ...لقد جاءها اتصال هاتفي: أن أحمد في غرفة العمليات في المشفى جراء حدوث تلك الحادثة الشنيعة، نتيجة تصادم سيارته بواحدة من سيارات النقل الكبيرة... توقف تاكسي راكضاً إليها خالد وإسراء، وكأن خالداً يعلم ما جرى لم تحدثه منى مطلقاً ولكن تسأل: سوو في دهشة ...

-مالك يا منى فى ايه؟؟

وعيناها ممتلئة بالدموع تكاد أن تأخذ أنفاسها بصعوبة بالغة: أحمد عمل حادثه ...

ناظرة لها سوو في دهشة ثم تلتفت إلى خالد الذي وضع رأسه في الأرض مثل النعامة التي تدفن رأسها في الرمل هروباً من شيء ما...

تركب منى التاكسي وتركب معها سوو وتنظر إلى خالد الذي يقف خارجاً...

-انت مش جاى ولا أيه؟؟ (تسأل سوو خالداً)

(يحرك رأسه بتعبير دل على رفضه)

ناظرة له منى في غضب شديد ثم توجه حديثها إلى السائق: يللا يا سطى يللا...

مغلقه باب التاكسي والعربة تسير وسوو... تنظر إلى الخلف إلى خالد الذي مازال واقفاً، وتملك العديد من التساؤلات التي تدور بخاطرها...

كان ذلك مثل الصدمة عليه حين سمع أن أخاه في المشفى بسبب حادث سيارة، يقف بعد أن رحلتا...

لا يعرف ماذا يفعل؟، هل ضميره استيقظ الآن؟ هل ما فعله هو الصواب أم الخطأ؟ كل تلك الأسئلة التي يحتاج أن يجيب أحدهم عليها...

لا يعرف وجهته... أن يدخل المنزل مرة أخرى أم لا؟ يقطع ذلك التفكير الجرس المميز في هاتفه الذي يضعه في جيبه...

نعم إنه الوحيد الذي سيساعدني في ذلك " دكتور عاصم"

-آلوو إنت فين يا خلوود؟؟

-دكتور عاصم أحمد عمل حادثه وخالد السبب...

فى ذلك العالم الموازي عندما سمع الخبر... ابتسامة انتصار لم يوضحها في مكالمته يحاول أن يخفيها في دهشة...

-أيه؟ إنت بتقول أيه إللى حصل؟؟

-خالد حرق ورق أحمد ومنى قالت: إن هي إللى حرقته، وخرج من البيت متعصب وبعدها خالد شاف منى بتجري راكبه تاكسي رايحه المستشفى تشوفه...

-طب كويس أنا عاوزك متبينش أيّ حاجه ولا أقولك انا جايلك انت فى البيت لوحدك صح؟؟؟

-هز برأسه بتلك الإجابة: نعم...أيوه أنا في البيت لوحدي...

مغلقاً هاتفه معه، محدثاً نفسه وهو سائقاً سيارته...: نعم إنه الوقت المناسب لتنفيذ الخطة التانية... نعم، إنها المصائب...

ولكن من الغريب أن اصطحب تلك العلبة معه التي بها " مربى الفراولة "

كان خالد ينتظر خارج المنزل لا يريد أن يدخله مره أخرى...

ينزل من سيارته ليجد خالداً فى وجهه واقفاً كأنه ليس من هذا العالم تملأ عيناه الدموع ووجه عابسٌ...

-خالد أيه اللى موقفك بره كده ، تعالى تعالى ندخل نتكلم جوه ...

يصطحبه من يديه إلى المنزل الذي لم يكن ليدخله لولا أنه لا يوجد فيه أحد، ناظراً إلى أرجاء المنزل، وعلى تلك اللوحات متذكراً بها منى، نعم إنها من رسوماتها... إن روحها تملأ تلك اللوحات...

صور لها هي وزوجها وأولادها... على تلك المنضدة التي بجانب الباب وصور لها وزوجها فقط... الذي أخذ يتأملها حتى أنه أخذ الصور التي بها منى فقط، كانت تبتسم ملاحظا تلك الفرحة في عينيها، ولكنه وضعها سريعاً حتى لا يلاحظ خالد ذلك ينظر إلى خالد سريعاً دون أن يبدو على وجهه شيء...

-البيت زوقه حلو أوي يا خالد، يا رب تكون مبسوط هنا (مقترباً منه هامساً في أذنه) أنا أهم حاجه عندي راحتك.

دون أن ينظر له خالد وهو ينظر إلى الأرض كعادته: خالد مش مرتاح هنا دكتور عاصم...

-لا لا هو د اللى اتفقنا عليه يا خلوود مش قولنا حنستحمل لحد متاخد حقك (وهو يطوف حوله يقول له ذلك).

ثم يأخذ سيجارته ويشعلها ويزفرها في وجه خالد...

-خالد في حاجات الواحد بيستحملها ويتحمل حاجات هو مش راضي عنها عشان يوصل لهدفه، دي بنسميها الضرورات تبيح المحظورات وأنت مبتعملش حاجه وحشه إنت بس بتاخد حقك ولا أيه؟

يبتعد عنه خالد بقليل ثم ينظر له...

-بس لو حق خالد يموت أحمد يبقى مش عاوزه ...

-لالا يا حبيبي دى حاجه حصلت وإنت ملكش دخل فيها، قدره كده...

-بس الحادثه حصلت بسبب خالد، ومنى هي اللى قالتلوا إنها حرقت الورق...

(يأخذ نفسه من تلك السيجارة التي طالما لم يحبها خالد ثم يقول...)

-أديك قولت منى هي اللى عملت كده، وأوعى تبين للحظة إنك عملت حاجه!

(ملتفتاً إلى اللوحة المرسومة مرة أخرى متذكراً منى)

-طيبه أوي منى دي...ويبتسم إلى لوحتها.

-خالد!!

(ملتفتاً له خالد بعد أن أنهى سيجارته)

-الولاد هنا صح وإنت المسئول عنهم وعن مدرستهم...

-آدم وحوريه عندهم مدرسه بكره وخالد اللى بيوديهم.

(مبتسماً في خبث شديد يزيد وجهه ولكن لم يلاحظه خالد)

-كويس أوى، أنا عاوزك تاخد بالك منهم كويس؛ صحيح وريني المطبخ اللي هنا فين؟

يصطبه خالد إلى المطبخ القريب من غرفة الجلوس التي كانا يجلسان فيها، وعينه تقع على المربى الموجودة على المنضدة ...

-آه صحيح خلوود فاكر الكتاب بتاع النظريه النسبيه اللي كنت جيبهولك؟

-ايوا يا دكتور عاصم.

-أنا عاوزه أصل ندى أختي بتعمل أبحاث عن الموضوع ده، اطلع جيبهولى.

يتركه خالد صاعداً إلى غرفته ليجلب له الكتاب الذي يهواه، يقترب عاصم من علبة المربى وينظر يميناً ويساراً حتى يتأكد من عدم وجود أحد ويبدله بالذي معه، ويأخذ العلبة الأخرى و يضعها في حقيبته الصغيرة التي أتى بها، مع نزول خالد الذي لاحظ شيئاً في بنطاله يتدلى جزء منه، ثم يعطيه الكتاب وينظر في حرص ويشير له على ذلك الشيء في جانبه يلمع ولونه أسود...

-أيه ده ي دكتور عاصم؟

ينظر إلى جانبه ثم ينظر إلى خالد في ابتسامة: ده يا خلوود مسدس لازم يكون معاك تصريح عشان تمشي بيه، مبعرفش امشي من غيره اليومين دول، إنت عارف حال البلد .

(معبراً خالد بإمائه رأسه إلى أعلى وأسفل عن ذلك)

-طيب يا خلوود ألحق أمشي أنا عشان متأخرش وخليك على تليفون معايا عشان عوزك قريب أوي...

مودعاً له ممسكاً على يديه قبل أن يرحل...

-متنساش يا خلوود دا حقك، ومتندمش في لحظة إنك بتاخده ...

(تاركاً إياه في منتصف الصالة، وهو يفكر في ذلك الكلام ومغلقاً خلفه الباب.)

ينظر إلى يمينه ليجد الطفلين خائفين واقفين بجوار ذاك الباب، ينظران إليه ويحاول أن يبعد نظره عنهم، ولكنهما يسبقانه بذلك بأن يجريا نحوه ويحضنانه...

-إحنا خايفين أوي يا عمو خالد...

محاولاً أن يمسك نفسه من تلك الدموع التي تحاول أن تسيل من عينيه...

-متخافوش... آدم وحوريه ميخافوش خالد قاعد معاكو متخافوش...

يقطع ذلك الاحتواء... هاتف المنزل، يذهب خالد نحوه ليجد منى تحاول أن تتماسك من الدموع...

-الو!! الوو!!! الووو!!!! خالد

لا يعرف كيف وماذا يجيب عنها بسبب فعلته تلك

-الو ايوا منى خالد معاكى .

-خالد أنا هنا ف المستشفى دلوقتي، متقلقش أحمد بخير عدى مرحلة الخطر المهم الولاد يا خالد خلي بالك منهم لحد مترجع أبوس إيدك...

(ممسكاً دمعته تلك في عينيه)

-حاضر يا منى خالد حيخلي باله من آدم وحوريه حاضر...

مغلقاً الهاتف معها، وهو ينظر إلى آدم وحوريه نظرة مطولة مليئة بالحب...

***

تغلق هاتفها مع خالد ثم تتحدث سو مع خالد بأن تذهب هي بعد أن اطمأنت على خالد مقاطعاً لهما دكتور حسن...

-أهلا أنا الدكتور حسن المسئول عن الحالة، الحاله دلوقت محتاجه 3 أيام تحت الملاحظه، الحمد لله ربنا أنقذه من نزيف داخلى كنا خايفين بس الحمد لله بقي أحسن دلوقت.

-سو روحي إنتي أنا حفضل جنبه، وروحيّ لخالد وخلو بالكو من الولاد...

-منى أنا قاعده معاكى...

-عشان خاطري روحي انتي...إنتى سمعتي الدكتور أحمد حالته بقت أحسن (محاولة أن تبتسم لها)

-حاضر...

مودعة لها ثم تدخل إلى أحمد وهي تبكي مقتربة منه، وهو تحت كل الأجهزة التي تقيس ضربات القلب و التنفس... ويبدو على وجهه بعض الإجابات...ممسكة بيده وجلست بجواره...

-أنا عارفه إنك زعلان مني، بس أنا عمري ما قصدت أزعلك، أنا بحبك...

طب فاكر،فاكر لما قولتلى إنك عمرك ما حتبعد عني، وقولتلك أنا عمري محخذلك

أنا خلفت وعدي (مقبلة يده) بس غنت أوعى تخلف وعدك، أنا مليش غيرك...

صوت الممرضة الثلاثينية من خلفها ...

- لو سمحتي ي مدام الحاله لازم ترتاح دلوقت تقدري حضرتك تنتظري بره...

ناظرةً له وهي تبكي ثم تقبل يديه مرة أخرى...

-متسبنيش يا أحمد...

خارجة إلى تلك الطرقة الممتدة ببعض المقاعد، جالسة على إحداها ممسكة برأسها وهي تبكي، قاطعاً لها ذلك الصوت بجوارها، صوت مقدحة تشعل سيجارة تنظر له في اتساع عين مليئة بالدموع ...

-هاا بقى كويس دلوقت؟

-عاصم!!!!

***

لتفتح ذلك الباب بعد انتظار دام لقرابة النصف ساعة أمام منزل ندى صديقتها، بعد أن وجدته غير موصد جيداً...

لتجد ذلك المشهد الذي لم تنسه مادام الله ينعم عليها بشهيقها وزفيرها ...

إنها ندى مع من؟؟؟ مع أخيها عاصم، في فراش واحد...

لم تصدق ...كأن أحدهم صدمها بسيارة ما تتكئ على الحائط بجوارها حتى تصل إلى باب تلك الشقة...

تغلق الباب خلفها لا تدري وجهتها، تتمايل على المصعد، لتصطدم بأحد الجيران في تلك العمارة، لينظر لها في دهشة...

لتصل إلى منزلها في شيء من الصعوبة البالغة، دون أن تحدث أحداً أو تلقي بالسلام المعتاد عليهم، لتثير دهشتهم أيضاً في المنزل...

تجلس على أريكتها وهي متسعة العينين تحاول أن تفهم ما شاهدته وما يحدث

ليقطع تفكيرها ذلك رقم (ندى)على هاتفها...

***

-أيه؟! اتفاجأتي؟ بتبصي ليا كده ليه شكلي يخوف؟

ويزفر أنفاساً من سيجارته تنظر له في اندهاش شديد بدا عليها...

-إنت بتعمل أيه هنا؟!

(مبتسماً لها تلك الابتسامة الباردة): أنا! أنا جي اطمن على أبو حميد حبيبي مش أنا المسئول عن حالة أخوه وإلا أيه؟)

-آه صحيح هو عامل أيه دلوقت؟ دكتور حسن طمني قالي إنه عدى مرحلة الخطر.

(تضغط على أسنانها وتنظر له في غضب)

-ملكش دعوه بيه إنت فاهم ...وإنت السبب أنا حاسه بكده...

-أنا السبب بردو لسه يا منون بتظلميني...

-أظلمك! على أساس إنك ملاك، إنت عباره عن شيطان متجسد ف بشر إنت ناسي إنت عملت إيه زمان ولا أفكرك؟

(مبتسماً لها ببرود كعادته): يووه يا منون ما يبقاش قلبك أسود كده بقى عدى عدى وندى اتجوزت دلوقت...

-طبعاً مهي لقت المغفل اللي يشيل الليلة، وتلاقيك إنت كمان مستغفله تحت اسم الأخوه...

-مع إن كلامك غلط بس أنا مقدر حالتك وحقك يا ستي إنـ...

مقاطعة كلامه...

-وأنا مش عاوزه أفهم حاجه ولا عاوزه أشوفك تاني وامشي من قدامي حالاً...

-حاضر حاضر حمشي ولينا كلام تاني مع بعض، بس أمانه سلميلى على أبو حميد لما يقوم بالسلامة (ضاحكاً وهو يلقى بالسيجارة على الأرض).

-لما يقوم قصدك أيه؟؟؟

-حتفهمي كل حاجه ف وقتها سلام يا منون (وهو ينهض من على المقعد يمسكه بيده)

-إنت لو جيت جمبه وجمب عيلتى أنا حقتلك...

-تقتليني !! مع إن ميلقش الموضوع ده على ملاك زيك! بس متخافيش أنا مبقتلش حد أنا مش مجرم يا منون...

(مودعاً إياها وهي تنظر له في خوف شديد جراء تلك الجملة التي قالها، ماذا سيفعل وهل له دخل في هذا الموضوع؟ وهل هو على اتصال بخالد؟ وماذا سيحل بزوجها؟)

يد صغيره تداعب ذقنه كما اعتاد منذ أن وصل إلى المنزل محاولاً فتح عينيه ليجد ذلك الملاك الصغير بجانبه، تحاول أن توقظه وهي تبتسم له...

-عمو خالد يللا قوم عشان توصلنا المدرسه ...

مبتسماً لها هو الآخر وهو يحاول أن يعدل جلسته من على الفراش ليقف لها...

-حاضر حوريه حبيبتي ...

-آه أنا وآدم مستنين تحت وفاضل نص ساعه على معاد المدرسه...

-طب فطرتوا؟

-لا... خالد مش بيعرف يعمل سندوتشات، ماما هي اللي كانت بتعملها (ف نظرة البراءة له)

أخد بيدها سريعاً لينزل إلى أسفل في ذلك المطبخ ليعدلها بعد الخبز والمربى وهو الإفطار المعتاد لهم، كما لاحظ منى وهي تعده لهم ليجد ذلك البرطمان الجديد أمامه دون أن يلاحظ تم فتحه، ولكنه لاحظ أنه كما لو أن أحدهم فتحه قبل ذلك فلم يكن محكماً كالجديد، ولكن كان الوقت يداهمه ليعدّ بعض السندوتشات لهما حتى لا يتأخرا على مدرستهما معطياً لهما الخبز، ليصطحبهما سريعاً دون أن يرتدي ثيابه لخروجه موصلاً إياهما لتلك المدرسة، مودعاً لهما بتلويح الأيدي، وابتسامة ذاهباً مرة أخرى إلى المنزل ليجد تلك الفتاة ذات العيون النقية تقف في شرفتها، وهي تبتسم له...

-خالد ثواني نزلالك عاوزه أكلمك...

لينتظر قليلاً عند بيتها تذهب نحوه مسرعةً...

-عجبك كده؟ بتخليني أقوم من الساعه 6 الصبح بعد مكنت بقوم العصر...

-وخالد عمل أيه عشان تقومي الساعه6؟!

-عشان أشوفك يا سيدي توصل الأولاد للمدرسة، صحيح اطمنت على أحمد؟

-آه، منى كلمت خالد إمبارح وقالت: أحمد كويس...

-وانت مش حتروح تزوره ولا أيه؟

-حاضر خالد حيروح يزور أحمد النهارده...

-طيب عشان عاوزاك تفضالي النهارده عشان الحفله اللي قولتلك عليها...

-حفله نادر صاحب سو الساعه 11...

-أيه دا؟! إنت فاكر كويس أنا فكرتك نسيت...

-خالد مبينساش المواعيد، الأرقام، الأسامي.

-ماشي يا عم خالد فطرت بقي ولا لسه؟

-خالد لسه مفطرش، خالد داخل عشان يفطر.

-صدق ولا أنا لسه مفطرتش، أيه رأيك نفطر مع بعض؟

-لا خالد عاوز يفطر لوحده(تاركاً إياها ذاهباً إلى منزله)

ناظرة له في اتساع للعين لا تفهم... ما هذه ردة للفعل؟ ولماذا تركها وذهب هكذا؟!

داخلاً إلى باب المنزل متجهاً إلى المطبخ، ويبحث عن أيِّ شيء يتناوله لم يجد سوى بعض البيض في الثلاجة ولكنه لا يعرف كيف يعده...

ناظراً إلى ذلك البرطمان على المنضدة وبجانبه الخبز، نعم سأتناوله لا يوجد غيره هنا، معداً له ذلك الفطور البسيط ليبدأ في تناوله...

-أحم أحم ماهنش يا سيدي أفطر لوحدي، مع إنك زعلتني دلوقت...

(تاركاً قطعة الخبز من يديه على المنضدة)

-سوو حبيبتي هنا ازاى؟!

-مانت سبت الباب مفتوح يا سيدي... هاا عندكو فطار إيه؟...أيه ده مربى يااااه مبحبهاش...

(ذاهبة إلى الثلاجة لتجد بعض البيض)

-على فكره بقى أنا بعمل بيض عيون حلو أووي حيعجبك، أرمي السندوتش ده بقى

(أخذت البيض لتعده وهو ينظر لها في ابتسامه وإعجاب)

- أيه بتبصلي كده ليه؟

(ناظراً إلى الأرض مرة أخرى محاولاً أن يخفي ابتسامته)

-خالد مبيعرفش يعمل بيض...

-طب بقى يا سيدي دوق البيض ده وقولي رأيك؟!

(يتناولان الطعام سويةً وتنظر له وهي تتناول خبزها ف ابتسامة، وهو ينظر إلى عينيها تارةً وينظر إلى الأرض تارة أخرى)

-سوو بتعمل بيض حلو، خالد بيحب البيض (ناظرةً له وهي تضحك)

بعد أن انتهيا من إفطارهما بدأا بالتجوال في المنزل لتنظر سوو على تلك اللوحات المرسومة وبعض الصور المعلقة...

-أيه ده إنت مش متصور معاهم ليه؟

-خالد لسه جاي الأسبوع اللي فات مع أحمد ومنى ...

(ناظرة إلى تلك الصورة التي تجمع خالد وأحمد وأبيهما)

-بباك ده ؟؟

-آه الحج رؤوف عبد السلام بس هو دلوقت عند ربنا.

-ربنا يرحمه

-خالد ممكن أطلب منك طلب؟ (معبراً عن ذلك باهتزاز رأسه بالموافقة) ممكن أمسك إيدك؟ (ناظراً لها في دهشة وابتسامة وينظر إلى الأرض، وهي الأخرى تنظر في عينيه محاولةً الاقتراب منه لتقبيله...)

ترن...ترن...ترن هاتف المنزل يرن (تذهب سريعاً لكي تجيب)

-آلو!!

-آلوو منزل الأستاذ أحمد رؤوف...

-أيوا...

-بلغيهم لو سمحتي، إن آدم وحوريه اتسمِموا وأخدناهم للمستشفى...

يبدأ في فتح عينيه ليجد مشهداً من الضباب الغير واضح حتى يستجمع تركيزه وينظر إلى تلك الأجهزة المعلقة بيده، وتلك الأجهزة بجواره، ليجدها نائمة على ذلك المقعد بجانبه ويبدو عليها الإرهاق الشديد، تضع ذلك الغطاء من البرد، وتنام كالملائكة، ينظر لها فى ابتسامة ثم يعود بوجهه مرة أخرى ليرى ذلك الحائط أمامه...

- منى...منى...(تسمع ذلك الصوت وتحاول الانتباه له مستيقظة)

لتنظر له ينزع جهاز التنفس ويبتسم لها، وهي الأخرى تذهب نحوه في عجلة لتمسك بيده وتقبل وجهه في لهفة شديدة.

-الحمد لله على السلامه يا حبيبي...

-أيه إللي حصل وأنا بقالي هنا أد أيه؟

-كانت حادثه والحمد لله إنت بخير دلوقت وبقالك يومين يا حياتي...

(محاولاً الاعتدال في جلسته)

-لا أنا عاوزاك ترتاح، الدكتور قالي إنك محتاج راحة... (ناظراً إلى قدميه اللتان يحيط بهما الجبس الأبيض جراء كسرها)

هاتفها يرن من رقم غريب لم يتم تسجيله بعد...

-ألو ..مين؟!

-ألو أيوا يا منى ألحقينا آدم وحوريه في المستشفى...

(متسعة العينين بشدة تاركه يد أحمد، واقفة): أيه بتقولي أيه؟)

-فى أيه يا حبيبتي !!

(يسألها أحمد في ضيق العينين وجبينه من الدهشة)

(ناظرة له محاولة طمأنته)

- لا لا مفيش حاجه حبيبي دا بابا تعبان بس شويه)

-طب يا روحي شوفيه دلوقت وطمنيني عليه أول متوصلي.

-حاضر حبيبي حروح أشوفه أه، خلي بالك من نفسك (مقبلي جبهته مودعة إياه)

يقفان خارج تلك الطرقة يذهبان ويعودان ذهاباً وإيابا يبدو عليهما القلق الشديد تدخل منى سريعاً لهما في خوف ولهفة على طفلها تجري نحوهما...

- أيه إللي حصل؟!

تذهب إليها سوو تحاول أن تطمئنها: متخفيش هما ف العنايه دلوقت والدكاتره كانوا شكين فى حالة تسمم...

(متسعة عيناها): تسمم!!!

(تتجه إلى خالد ممسكة يديه بقوة)

-ممكن تقولي أيه إللي حصل؟

-خالد عمل سندوتشات لآدم وحوريه، وصلهم للمدرسة.

-سممت عيالي يا خالد... مش عاوزه أسمع صوتك ومش عاوزه أشوف وشك تانى من ساعة مدخلت حياتنا وكل حاجه بقت سوده، أحمد عمل حادثه بسببك ورجله اتكسرت وعيالي، عيالي كمان أتسمموا إنت عاوز مننا أيه ها عاوز أيه؟!!!

(ترفع صوتها عليه وهو لا يتكلم ينظر في الأرض لا يعرف ماذا يقول!)

-امشي ارجع الدار إللي كنت فيها، فعلاً أحمد كان عنده حق لما مكنش عاوز يجيبك.

(تاركة إياه وهو يجلس على الأرض وتلك الدموع فى عينيه)

-ارجع خالد لازم يرجع للدار طبعاً، أحمد ومنى مكنوش عارفين خالد كان عامل أيه؟ أحمد ومنى مشفوش كل ليله ظلمه كان بيشوفها خالد، كان نفسه يشوف النور... احمد ومنى مجربوش جلسات الكهربا، أحمد ومنى مجربوش يناموا عريانين ف اوضه تلج فى عز الشتاء، أحمد ومنى مجربوش ب3 أيام من غير أكل وشرب أحمد ومنى... نسوا خالد (ناظراً لها ممسكاً تلك الدموع في عينيه وخالد عاوز ينسى أحمد ومنى .

تقف أمامه منى وسو باكيتان من كلامه تقترب منه سوو لكي تواسيه، ولكنه يبعد يديها عنه ثم يقف سريعاً مسرعاً إلى ذلك الباب لكي يخرج من المشفى لا يعرف ماذا سيحل به؟! ....

هاتفه يرن...

نعم إنه دكتور عاصم يمسك ذلك الهاتف في نظرة غضب ويضغط على زره، كمن يضغط على أنفاس أحدهم ليقتله ...

-أيه يا خلوود بتصل عليك من ساعتها ما لك؟!!

-سممت آدم وحوريه ليه؟!

-هاا... لا حول ولا قوة إلا بالله، وسممت مين يا حبيبي أنا معرفش إنت بتتكلم عن أيه؟

-عاصم بيكذب على خالد (ويقولها له فى غضب) عاصم كان عند خالد إمبارح في البيت، ودخل المطبخ وبدل برطمان المربى.

-طيب يا خلوود إهدى بس كده وأنا حفهمك كل حاجة إنت فين دلوقت؟

مغلقاً ذلك الهاتف في وجهه ورمى به أرضا دون أن يبالي.

وكانت تراقبه كي تحلق به دون أن يشعر بها، وأخذت الهاتف دون أن يشعر بها ناظراً لها وهي تقول:....

-إنت رايح فين دلوقت؟

(نظرة ذاك الإنسان المكسور الذي لا يعرف وجهته)

-خالد مش عارف يروح فين دلوقت!. (مقتربة منه ضاغطة على كتفيه)

-خلاص تعالى معايا البيت لحد ما تهدى كده، وعموماً مش النهارده عندنا حفله ولا أيه؟ أقولك على حاجه، شكلها حفلة سوده من ساعة مقولتلك عليها والمصايب نازله علينا، الواد نادر فقر أساساً (ضاحكاً بتلك الدعابة الصغيرة)

-أيوه كده كانت فين الدحكه دي من زمان، على فكره شكلك حلو أوي لما تضحك. (أخذته من يديه لكي يذهب معها إلى بيتها)

بيتاً مكوناً من طابقين بتلك الحديقة المملوءة بالعديد من زجاجات الجعة، لا أحد يهتم بتنظيفه، يدخل ذلك البيت ويجد العديد من الصور العائلية، ولكنه يلاحظ صوراً لها وهي صغيرة فقط دون صورة واحدة وهي كبيرة.

-ليه سوو معندهاش غير صورة واحدة وهي كبيرة (ملتفتاً لها بعد تأمل تلك الصور)

-بابا وماما سوو سيبينها من 3 سنين، وهما ف ألمانيا وهنا مفيش غير الصورة دي قبل ميمشوا (ناظراً لها في تعجب)

-وسوو مرحتش معاهم ألمانيا ليه؟

- صحابي هنا وأنا أتعودت على هنا وروحت معاهم كذا شهر معرفتش أتأقلم هناك، بس أيه رأيك ف الصور؟

(مقترباً من تلك الصورة بالتحديد)

-سوو حلوة وهي صغيره وهي كبيره.

(ممسكة بكتفه)

-وخالد حلو وهو كبير أكيد كان حلو وهو صغير. (مقبلاه من خده)

(اتساع العينين، واحمرار لخده مع ابتسامة ناظراً إلى الأرض ثم لها...)

حفلة صاخبة تعمّها أصوات من تصادم الزجاجات ممزوجة بالعديد من الضحكات من بعض الشبان والفتيات، يعلو صوت موسيقىً غربي لا يعرف معناها يمشي وسط الحشد بعد ما تركته سوو لتلقي التحية على أصدقائها، يتأمل وجوههم الغائبة عن عالمهم، من يجلس فى إحدى الزوايا مع تلك الفتاه وهو يقبلها، وغيرهم من يمسك بذلك السّم الأبيض، ويستنشقه بأنفه وبعضهم من يقف في وسط الساحة الكبيرة ليرقص ينظر هنا وهناك ويقترب من ذلك "البار"...

يمسك ذلك الآخر بكأسه وهو يدخن سيجارته ثم يلتفت له دون أن يراه يصطدم به مشاهدين كلاهما ذلك الكأس وهو يصطدم بالأرض، لكي ينكر ذلك رافعاً عينيه في غضبٍ شديد...

-إنت حمار يا بني...

-آسف...آسف... خالد ماخدتش باله...

-خالد! إنت مين ومين دخلك هنا؟!

(قاطعته سو في تدخل لكي تنقذ الموقف، بعد أن ترك كل شخص ما بيده وبدؤوا ينظرون لهما)

- نادر كويس إنكو أتقابلتوا ..دا بقى يسيدى خالد إللي كلمتك عنه.

(ناظراً له من أعلى إلى أسفل يتأمله)

- - هو ده بقى خالد إللي وجعلنا دمغنا بيه، هو ده خالد الأهبل بقى...

(ناظراً له خالد ثم يلتفت إلى الجهة الأخرى محدثاً نفسه)

-خالد مش أهبل ...خالد مش أهبل ...

(بتلك نظرة الاستحقار الممزوجة بالغضب التي أبدتها سوو إلى نادر، تاركتاً إياه وذاهبة إلى خالد المخترق ذلك الحشد متجهاً إلى باب الخروج...

- خالد!...خالد...خالد استنى حفهمك...(ممسكه بيده)

-والله ما قصدي هو إنسان رخم ومكنتش عاوزاه ييجي أساساً بس عشانك إنت تغير جو مش أكتر...

(يهز برأسه إلى أعلى وأسفل وهو يردد): خالد مش أهبل...

- أنا عارفه والله هو إللي مجنون، عارفه يا خالد، خليك ثواني هنا حجيبلك كأس واجيلك... لو مش عاوز سوو تزعل بقى متمشيش من هنا، أنا راجعه على طول.

(تاركة إياه لتدخل لذلك الحشد لتحضر له كأساً)

وهو غير مبالي بها متذكراً أثر تلك الكلمات عليه عندما كان ف المشفى المعالج...

***

ممسكاً ذلك الكتاب من كتب العلوم يقرأه كعادته ف ذلك الوقت، يأتي بجانبه أحدهم ينظر إليه دون أن يبالي به.

سامعاً له دون أن يبدو أيّ شيء مستكملاً قراءته في كتابه...

-لما أكلمك ترد عليّ فاهم... (ممسكاً الكتاب من يده قاذفاً به بعيداً ناظراً له نظرةً يملؤها السخط، ممسكاً به من رقبته وهو ينهال عليه بالضرب...)

تدخل من العاملين في المشفى لكي ينقذوا ذلك الرجل من خالد، الذي كاد أن يقتله ضرباً، مستعجبين ذلك التصرف الغريب منه، الذي لم يعتادوا عليه من خالد (صاعقةٌ كهربائيةٌ على ظهره أدت إلى سقوطه أرضاً وغيابه عن الوعي، وهو يشاهد من فوقه الأشخاص الممسكين بالرجل الآخر.)

يفتح عينيه ليجد نفسه في غرفة مظلمة، وهو لا يكاد يرتدي شيئاً على ذلك الماء الذي يوقظه به أحدهم وهو نائم في أحد أركان تلك الغرفة، التي عفا على جدرانها الزمان، ممسكاً بيديه وهو يزحف أرضاً لكي يربطه بذلك الغطاء الأبيض الذي من قِدمه يشهد بعض الاصفرار، ليذهب به إلى تلك الغرفة التي يوجد بها كرسي الكهرباء، الذي كان يشاهده خالد لأول مرة، ولا يعرف استخدامه... وقد وجد شخصاً يرتدي البلطو الأبيض، ويضحك له ضحكةً خبيثةً كي يربطه في الكرسي من قدميه ويديه، ويضع جهازاً على رأسه الذي لا يعرفه من قدميه ويديه...

مئة سيف من محاربي النينجا ممسكةٌ رأسه وجسمه؛ تطعن فيه...و ينتفض من ذلك الألم الشديد الذي استمر فترة طويلة، حتى سمع صوتاً غاضباً يخترق الباب بشدة.

-انتو بتعملو ايه؟!

-يا دكتور عاصم دي أوامر من دكتور ياسر بجلسة كهرباء عقاب ليه على إللي عمله الصبح...

-انتو مجانين بعد ما تحسن حالته تعملوا فيه كده!!!

(مغلقاً ذلك الزر ذاهباً إليه، لكي يفك قيوده سريعاً، وينظر له خالد نظرة الغريق الناجي الذي وجد باخرةً كي تحمله إلى الشاطئ بأمان.)

-إحنا آسفين يا خالد، آسفين على إللي حصل وأوعدك مش حيتكرر تاني...

(ممسكاً بيديه كي يخرجه من تلك الغرفة إلى غرفته، يساعده في ارتداء بعض الملابس، ويجلسه على فراشه، كان جسده يرتجف من الجو البارد حوله.)

- أنا دكتور عاصم، كنت بتابع حالتك من بعيد كده وعرفت إنك في تحسن

ها إهدى بقي كده يسيدى، وقولي إلي حصل معاك ولا أقولك خليها الصبح عشان ترتاح دلوقت...

(مبتسماً له وهو يخرج من الغرفة وقد أغلق المصباح، ومغلقاً من خلفه الباب... ويعتدل خالد في فراشه لكي يستريح، متذكراً ذلك الرجل الذي أنقذه، نعم، لقد أحبه له الفضل من إنقاذه من ذلك العذاب، الذي كان يشهده ما كان سيشهده مغلقاً عينيه إثر التعب الشديد ليغط فى نومٍ عميق).

***

أتى صوت من وراءه...

-فاكر أول مرة شوفتك فيها...

ناظراً له في اندهاش شديد بدا عليه على وجهه ...

-دكتور عاصم! إنت بتعمل أيه هنا؟!

-أصل نادر ده صاحبي، كده تقفل السكة في وشي دي أخرتها؟

(تاركاً إياه محاولاً أن يذهب ممسكاً بيده)

-أنا عاوزك تفهم حاجه واحده بس، أنا هنا عشان أساعدك عشان تاخذ حقك مش أكتر، أنا مش مستفاد حاجه، حتى لو وصلت للقتل، إنت فاهم...

-وخالد مش عاوز يقتل، خالد مبيحبش القتل...

-ولا أنا، ولا أنا يا خلوود ومتقلقش أنا تبعت حالتهم في المستشفى، وهما دلوقت بخير أنا عاوز منك بس آخر طلب مش أكتر...

-وخالد مش يعمل حاجه لدكتور عاصم تانى ...

(ناظراً له نظرة الشفقة الكاذبة لكي يقنعه): وخالد نسي فجأة عاصم عمل معاه أيه؟ ناسي إن هو إللي أنقذه من الدار بعد ما كانوا بيعذبوه، خالد نسي إن عاصم هو إللى كان بيقف جنبه...(ينظر خالد إلى الأرض مرة أخرى، ملتفتاً إلى تلك الحفلة...وسو تأتي حاملة كأسين بابتسامة، بدت على وجهها، وينظر إلى الدكتور عاصم الواقف بجانبه حتى قطعتهما.)

-أيه غيبت عليك؟!

مقدماً لها نفسه: دكتور عاصم صديق خالد والدكتور بتاعه أهلاً...

-سوو، جارت خالد، أظن شوفت حضرتك قبل كده هو أنت معزوم هنا؟!.

-آه ما نادر صديقي من زمان بس الواحد ملوش في جو الحفلات ده...

-طيب أسيبكو مع بعض، ومتنساش يا خلوود آخر طلب قولته وإبقى ردّ عليّ سلام.

(تركهما وهي لم يرقها كلامه الذي ألقاه، وذهب بعيداً ليودع نادر ضاحكاً معه، ومع بعض أصدقائه.)

- مين ده يا خالد؟؟؟

(ناظراً لها كمن لا يريد أن يتحدث)

- دكتور عاصم كان بيعالجني في المستشفى.

(ضيقها الشديد جراء تلك المحادثة التي دارت بينهم)

-طب خد اشرب...

-أيه ده!!!!

-دا درينك يا سيدى خد اشرب ومش حتندم...

(كمن وضع له عدة مواد حادة في جوفه طعماً لاذعاً، ورائحة الكحول الكريهة كفيلة بأن تغيّبه عن العالم: إنه الخمر.)

-يااه طعمها وحش اوى (مغلقا عينيه بشده دلاله على تاثير طعمها)

-بس حتعجبك صدقنى....

-لا لا خالد مش عاوز يشرب.

-عشان خاطر سوو فاضل شويه بس ومتشربش تانى .

(ينظر لها ولذلك الكأس بيده، يبتسم لها ثم يشرب ما تبقى من الكأس ضاحكةً له أيضاً وتبادلا بعض الأحاديث عن هؤلاء الأشخاص في تلك الحفلة، من يجلس مع مجموعة من أصدقائه ومن يرقص ومن يراقب غيره في ضغينة وغيره وغيره من الأشخاص؟؟! حتى مطلع الصباح وكلٌ من الشبان والفتيات يذهب إلى بيته، ممسكة بيديه وهم خارجون من ذلك المنزل.)

-حوديك بقى مكان دلوقت متعوده أروحه لوحدي دايماً لما أكون مخنوقة أو فرحانة وأقولك على سر محدش يعرفه بس حورهولك أنت...

(ممسكة بيده لتجري أمامه وهو يجري ورائها يضحك ذاهبين إلى مكان يشبه التل ليطلّ على المدينة، كان وقت شروق الشمس حينذاك... تجلس إلى جواره يتأملان ذلك المنظر البديع.)

- هو إنت حبيت حدّ قبل كده يا خالد؟

(مبتسماً إلى مشهد الشمس وهي تزور يومها الجديد بعد توديعه ليلاً.)

- لا خالد حب...

(مندهشةً من تلك الإجابة مبتسمة له)

-خالد حب مين بقى؟!

-خالد حب رؤوف عبد السلام"بابا" وحب منى وحب آدم وحوريه (ناظراً إلى الأرض عن ذلك المنظر الرائع) ودكتور عاصم...

-(ملتفته له) وأحمد أخوك؟؟؟؟

-خالد حيقول سر لسوو محدش يعرفه، أحمد ساب خالد فترة كبيرة في المستشفى كانوا هناك بيعاملوا خالد حلو، بس فتره كانوا بيعذبوا ويحبسوا خالد في أوضه قبل ما يجي دكتور عاصم،هو إللي أنقذ خالد منهم، وهو إللي كلم أحمد يطلع خالد عشان اتحسن...

-بس إلي تعرفه سوو إن أحمد بيحب خالد، وبيخاف عليه، ومتأكدة كمان إنك زعلان على إللي حصله في الحادثة، وإن كان في سبب متزورهوش...

(مقاطعا لها خالد)

-خالد هو سبب حادثه أحمد...

(تضم على شفتيها)

-بس أقولك سر بردو، عارف بقى سوو بتحب مين؟!

(يتأمل وجهها وعيناها تتأمل عينه)

-سوو بتحب خالد "بحبك"...

(مبتسماً إلى منظر الشروق مرة أخرى)

- وخالد بيحب سوو.

(تضع وجهها فوق كتفه وتميل عليه، وهى سعيدة بذاك لينظر كلاهما إلى مشهد شروق الشمس)...

يقف أمام تلك المرأة ممسكة بيده و تلك العصا كي يتوكأ عليها من أثر الحادث تقف بجانبه... تعدل له ثيابه في ابتسامة على وجهها إثر عودته بصحة جيدة، ينظر لها أحمد بابتسامة تدل على عفوه جراء ما فعلته...تربت على كتفيه بيدها لكي تشعره بوجودها...

-وحشتني ...

-وإنتي كمان، أخبار آدم وحوريه وخالد أيه؟

(تحولت تلك الابتسامة إلى عبوس في جبينها ثم تعود مرة أخرى حتى لا تشعره بشيء)

- كلهم كويسين الحمد لله، ومستنيينك تخرج بالسلامه لينا...

(مستنداً عليها لكي يخرج من تلك الغرفة التي طالما لم يحب تلك الأجواء من المشفى، والأجهزة... ولكنه يخرج منها بعصاه تلك التي طمأنه الأطباء المشرفون أنها سوف تزول سريعاً... حتى

وصلوا إلى باب المشفى، لتجد ذلك الإنذار من الهاتف ليدل على استقبال رسالة من أحدهم... يفتح باب السيارة ليجلس في المقعد الأمامي وتفتح هي رسالتها...)

....."باختصار ومن غير ماطول عليكي، آدم وحوريه عندي وأنا عاوز أشوفك حالاً عشان في كلام عاوز أقولهولك، حتيجى حتشوفى ولادك، مش حتيجى.....بلاش أحسن، اااه نسيت أقولك حمد لله على سلامة أبو حميد)العنوان 6شارع المعز الدور الثالث(...عاصم ".....

فى اتساع عينيها من جراءة ما قراءته في تلك الرسالة...تركب سريعاً سيارتها لكي توصل أحمد إلى المنزل سريعاً، وهي تقود سريعاً حتى لاحظ أحمد ذلك...

مدرستهم لان خالد مريض لايقدر على فعل ذلك ،حتى وصلا الى باب المنزل داخلا الى باب منزله وهو يبدوا عليه عدم الفهم لما يجرى كيف تقول ذاك والمدرسه قريبه من المنزل والاولاد ف العاده ياتون بسياره جارهم حسام واولاده ان تاخر احد عليهم جالسا على ذاك المقعد وهى الاخرى مسرعه الى باب المنزل تغلقه فى لهفه الى سيارتها كى تقودها الى ذاك العنون...

خالد ..خالد يسمع ذاك الصوت من جانبه وهى توقظه حتى أنه اعتاد في الفترة الأخيرة، بأن فتاة قديماً كانت حوريه واليوم سوو(ممسكة بهاتف فى يديها)

-خذ في رقم مكتوب بعاصم بيرن عليك من ساعتها...

(معتدلاً في جلسته ناظراً لها):...إنتي جبتي التليفون دا منين؟!

-وقع منك إمبارح... إمبارح لما كنت في المستشفى خذ بس رد بيرن أهو...

-خالد مش عاوز يرد على حد وإرمي الفون دا مش عاوزه...

-خلاص خلاص، طب قوم يللا عشان نفطر...

(تاركة إياه وبجانبه الهاتف) وهو ينظر إليه يريد أن يضغط على الزر ليفتحه ولا يريد ذلك أيضاً.

(ممسكاً بذلك الهاتف بيده... يطلب خالد دون ردّ منه... يريد أن يعرف ما هي الأجواء في المنزل هناك؟ هل أحمد هناك هل أتى مع منى؟ هذا كل ما يشغله،حتى وجد باب شقته يطرق بعنف، وهو ينظر في تلك العين ليرى من؟ ليجدها تقف في توتر واضح عليها وحيدة.)

(فرحاً دون أن يغلق ذلك الهاتف وضعه على المنضدة بجانبه لكي يفتح لها.)

***

-خالد الفطار جاهز يلا...

-حاضر خالد نازل أهو (ممسكاً بالفون بيده وفضوله يقتله... ليعرف ماذا سيقول له دكتور عاصم، فى ذلك الوقت حتى انتهى به الحال... ليضغط على ذلك الزر الأخضر لكي يستقبل تلك المكالمة.)

-آلو ...آلو دون أن يستجيب أحد، ولكنه يسمع صوت دكتور عاصم ومنى يتحدثان .

-وحشتيني...

-هم فين ولادى؟؟؟ (وهي يبدو عليها الغضب) عملت أيه في ولادي؟؟؟

-متخافيش ولادك زي ماهم في المستشفى، أنا قولت كده بس عشان أشوفك وعارف إن دى الطريقة الوحيدة عشان أقابلك...

(محاولة تركه لكي تذهب إلى باب تلك الشقة ليقف على الباب)

-مفيش خروج من غير لما تسمعيني...

-أنا لو مخرجتش دلوقت حصوت وألمّ عليك الدنيا إنت فاهم...

(راكضة في تلك الشقة وهو وراءها حتى أمسكها من رأسها موقعاً بها على الأرض

-افهمي يا منى أنا بحبك وإللي حصل ده أنا كنت عاوز أتأسفلك عليه وإنتي معطتنيش فرصه، لحد مروحت المستشفى وعرفت بحالة خالد وإنه أخو أحمد جوزك، قولت استغل الموضوع خليتهم يعاملوه وحش، لحد مجيت واتدخلت وأنقذته عشان يثق فيا عشان أوصلك...

(زاحفةً على الأرض مبتعدة عنه)

-وإنت بتقولي ليه كده؟!! انا مش عاوزه أسمع حاجه، أنا ست متجوزه سيبني أخرج...

-انت مجتش ليه الفطار جاهز؟؟

(تاركاً ذلك الهاتف من يده ممسكه بيديها)

- إحنا لازم نرح لأحمد دلوقت، دكتور عاصم خطف منى...

(مندهشه من ذلك الكلام)

-انت بتقول أيه؟؟؟

-خالد سمع كل حاجه في الفون يللا بينا على أحمد بسرعه في المستشفى...

-أحمد هنا أنا شوفته الصبح ومنى بتدخله البيت، وركبت عربيتها ومشيت.

(ممسكاً بيدها لكي يخرج من المنزل سريعاً، لكي يذهب إلى بيت أخيه أحمد ليفتح له أحمد في دهشة.)

-خالد إنت هنا مش تعبان زي منى مقلتلي...

(قاطعت سوو حديثه.)

-مفيش وقت للكلام منى مخطوفه من دكتور عاصم يللا بينا...

-إنتي بتقولي أيه؟؟؟

-زي مسمعت كده يللا بينا نلحقها...

-بس إحنا منعرفش العنوان...

(ناظراً لهم خالد وهو يهز رأسه)

- 6 شارع المعز الدور الثالث... عنوان دكتور عاصم، خالد سمعه لما كان في المستشفى كان بيقوله لصاحبه عشان يوصله حاجات للبيت، خالد فاكره...

(متكأً على خالد لكي يذهبا إلى سيارة (سوو) القريبة من المنزل لكي تقودها مسرعةً لتصل إلى ذلك العنوان.)...

يشعل سيجارته، جالساً على المقعد المواجه لها، لا تتمكن من فعل أيّ شيء سوى البكاء، قام بربط يديها وقدميها في المقعد الجالسة عليه...

- عجبك كده شوفتي عندك وصلنا لأيه؟، كنا زمنا قاعدين بنتكلم في هدوء...

- أبوس إيدك، سيبني في حالي، إنت عاوز مني أيه تاني؟

(يقترب منها وهو يتحسس رقبتها ووجهها، وهي الأخرى تحاول أن تهرب من لمساته تلك بوجهها...)

- عوزك إنتي، إنتي وبس ومش حسمح لحد غيري يخدك مني تاني...

(ليبدأ في فتح أزرار القميص ذلك الذي ترتديه، وعيناه تملؤهما عنفاً و شهوة تجاهها (ذئب بشري)، وهي الأخرى لا تتوقف عن البكاء بل ازدادت في تلك اللحظة، التي أدركت أن لا

مفر من ذلك الذئب، يقبل رقبتها باشتهاء وثغرها ويبدأ في فك وثاقها من يديها...)

- لو سمحت فين شقه دكتور عاصم؟

(ليترك كأس الشاي من يده، ويعتدل في جلسته...)

- ايوا يابيه الدور التالت

- طب مطلعتش قدامك وحده دلوقتي؟

- أيوه في وحده كانت بتسأل برضه عن شقته من نص ساعه كده، في حاجه ولا أيه يا بيه؟

- لا لا مفيش ،(ليذهبا كما قال لهم بواب تلك العمارة، ويذهب معهم هو الآخر ليساعد أحمد في الصعود، كما أخبره أن المصعد معطل.)

ينزع عنها ملابسها، وهي لا تبدي غير البكاء حتى تم الطرق على باب الشقة، عندئذ بدأت بالصراخ وبدا يعلو صوتها بأن ينجدها أحدهم من ذلك الرجل ....

- منى!منى! متخفيش يا حببتي أنا هنا...

(ليبدأ في تكسير الباب، وهو الآخر يعتدل في جلسته ويقف لهم، ويأخذ المسدس من جانبه، ليمسكها من رقبتها ويضمها نحوه، ليفتح الباب)

- إلي حيقرب مني حقتلها، أنا بقولكوا أهو.

- الكلام دا بيني وبينك، هي ملهاش دعوه، سيبها...

(ليقترب منه بخطوات بطيئة، وفي حذر شديد.)

- بقولك لو قربت حقتلها، ارجع....

ولكن كانت المفاجأة من ذلك الشخص، الذي لم يتوقع أحد أن يبديّ شيئاً تجاه ذلك الموقف المخيف...

***

غرفة مظلمة لا يبين منها سوى آخر ممر به شعاع من ضوء القمر، تجده جالساً على إحدى الآلات البيانو يعزف أحد المقاطع ل(بيتهوفن)الشهيرة، تقترب منه ببطء لا يشعر بوجودها، وكأن ذلك العزف يأخذه عن العالم المحيط به، نعم، إنها تعرفه جيداً، ولكنها مندهشة بعزفه بتلك الاحترافية على تلك الآلة، إنه (خالد) لتتحسس على كتفيه لتوقظه من ذلك العالم الذي يعزف فيه...

- خالدّ! خالد!

ليستدير لها هو خالد ولكن تلك المرة ليست في حالة توحده كما اعتادت عليه، دون أن يهتز رأسه أو عدم تواصله معها مباشرة لها في عينيها، دون أن يبدي أيّ ابتسامة أو حزن لها، يقف هو الآخر ثم يقترب منها دون أن يتفوه بأيّ كلمة، يمسك بيدها ليأخذها إلى باب في نهاية ذلك الممر يفتحه، ثم يستدير لها وهو يشير إليه، ولكنها لم تبال لما يفعله بل تبالي لتلك البقعة من الدماء عند قلبه التي بدأت تسيل حتى غمرت قميصه بالدماء، ثم تنظر إلى ذالك المشهد أمامها مره أخرى،

لتجد زوجها دون عصاه التي يتوكأ عليها وهو يلعب ويلهو مع ولديهما، وتجد خالداً جالساً مع (سو)فوق أحد المقاعد وهما يتحدثان ويضحكان...

كيف ذلك وهو يقف بجانبها الآن؟.... لتستدير له لتجد عاصم يقف أمامها ومعه مسدسه، ليشهره نحوهم جميعاً، ويبدأ في إطلاق النار عليهم...

تأخذ شيقاً وزفيرها بصعوبة بالغة، لتبدأ في التنهد وتقلب رأسها يميناً ويساراً ليفيق أحمد على ذلك المشهد الذي اعتاد عليه منذ فترة...

- منى! منى!...

لتستيقظ هي الأخرى ويناولها ذلك الكوب من الماء كي تهدأ أعصابها، ثم تستريح قليلاً لتطلب منه الذهاب إلى المطبخ لتعد كوباً من القهوة، وأثناء جلوسها في ذلك الوقت... تتذكر تلك الليلة الشنيعة محاولة إزالتها من ذاكرتها...

***

وكانت المفاجأة من ذلك الشخص، الذي لم يتوقع أحد أن يبدي شيئاً تجاه ذلك الموقف المخيف...أن يذهب نحوه دون أدنى تردد أو تفكير لما سيجري حينها... إنه (خالد) حتى ترك عاصم منى من يده، وأطلق النار على خالد ليقف لحظة في مكانه، لينظر لأعين كل من كان موجوداً في تلك الغرفة، نعم، لحظة يسودها الصمت المطلق، ليرتمي فوق الأرض والدماء تسيل منه...

ليذهب نحو عاصم سريعاً ذلك البواب، ويلقي من يديه سلاحه، ويرميه أرضاً هو الآخر، ويمسك بخالد الذي يحتضر بأنفاسه الأخيرة، وينظر بابتسامة لمن هم موجدين حوله... وهم يبكون...، وتقترب منه سو وتقبله من جبهته وتلك الدموع تسيل منها على وجهه، لينظر إلى أحمد الممسك بيديه، ليجده ذلك المشهد الأخير أمامه قبل أن تُغلق عيناه إلى الأبد، وعلى وجهه تلك الابتسامة...

النهايه.....